الوعي الإسلامي

اسلاميّة ثقافيّة شهريّة





إهــــــــداء 2005

المرحوم الدكتور/ محمد زكى العشماوى
الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه

صدق الله العظيم

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العــدد ١١٧

غرة رمضــان ١٣٩٤ هـ

ســبتمبر ١٩٧٤ م

سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شــهر عــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الافراد فشتركون رأسا مع متعهـد التوزيع كل فى قطره

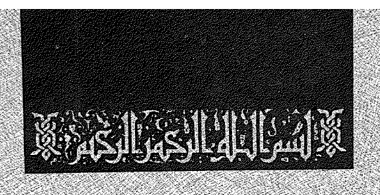
الثمـــن :

الـكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنــوان المراســلات :

مجـلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية

صــندوق بريد : ١٣ ــ كــويت ــ هــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



الصيام والقرآن

يطل علينا شهر رمضان بهلاله الميمون ، ويظلنا بايامه الكريمة ولياليه المباركة ، ويحلق بنا فى سماوات الطاعة وروضات العبادة ، ويجعلنا أهلا للفيوضات الإلهية والنفحات القدسية وموضعا لنظر الله ورضوان الله .

فى هذا الشهر العظيم تتزين السماء وتتنزل الملائكة وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتحجب الشياطين ، ويتجلى الله على عباده الصائمين القائمين فيغفر لهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويوفيهم أجورهم بغير حساب .

وفى هذا الجو الروحى الطهور تزكو النفوس وتطهر القلوب ، وتصفو النوايا ويصدق العزم ، فتصغر الدنيا وتعظم الآخرة ، ويحلو كل ما يقرب من الله ، ويكره كل ما يباعد عن الله ، وتانس المشاعر والجوارح بالموافقة لكل ما يرضى الله ، وتنفر وتفر من كل ما يغضب الله ، ويبلغ الصائم القائم مقام الإحسان ، فيعبد الله كانه يراه ، ويتصرف فى دنياه كانه يراه .. يتقن كل عمل ، ويحسن كل تصرف ، ويراقب الله فى كل سلوك ، ويقيم أوامره فى شئون الحياة كافة .

الإحسان مراقبة ومشاهدة ، والرقابة الإلهية لا تتناول عملا وتدع آخر ، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التى يقف فيها المسلم خاشعا بين يدى الله الى الحرفة والمهنة التى يباشرها قياما بواجبه فى الحياة .. الإحسان الذى يبلغه العبد بالصيام والقيام وتلاوة القرآن رحب الدائرة يشمل الأعمال والأحوال كلها : (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه) .

□□□□

إن الله عز وجل شرف هذا الشهر وميزه بأمرين فرض الصيام وانزال القرآن فيه قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

وقد اقتضت الحكمة العالية أن يكون هذا الاقتران والارتباط بين الصيام والقرآن فالصيام اعداد وتهيئة للنفس لتلاوة القرآن وتدبر معانيه ، والصيام رياضة وترويض للغرائز الانسانية على الخضوع والانقياد لما أنزل الله ، وبالصيام تطمئن النفس الى الحق وترقى الى أفقها الروحى وتستعد لتلقى الفيض الإلهى من كلام الله .

وهذا موسى عليه السلام قبل أن يتلقى كلمات ربه وأعده الله ثلاثين ليلة وأضاف اليها عشرا فبلغت عدتها اربعين ليله يروض فيها موسى نفسه بالصوم حتى تصفو روحه وتقوى على تلقى كلمات ربه .

قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله) قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميقات ثلاثين ليلة استاك بلحاء شجرة ـ بقى شىء من سلطان النفس وحكم الهوى عليه ـ فأمره الله أن يكمل أربعين .

إن الصوم يملأ النفوس روحانية وابداعا ، ويشرق على القلوب بهجة وسناء ويطلع على العقل شفافية علوية ترفعه من حضيض الحيوانية المادية الى مستوى الملائكية والروحانية ، فيكون أهلا لمجالسة الحق ومناجاته بتلاوة كلامه ومدارسة قرآنه .

إن سيد الصائمين محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعنى بمدارسة القرآن فى رمضان ، وكان جبريل عليه السلام يتنزل عليه كل ليلة منه فيدارسه القرآن : يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يقرأ جبريل ويسمع محمد . روى الإمام البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان السلف الصالح يعتمدون على العصى من طول القراءة فى صلاة التراويح ، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال ، وبعضهم فى عشر ، وكانوا زمن التابعين يقرؤون بالبقرة فى قيام رمضان فى ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها فى اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبى حنيفة والشافعى ستون ختمة فى رمضان ، وكان مالك إذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن .

إن هذا الشهر الكريم يشدنا الى كتاب الله الخالد الذى لا ريب فيه . المبارك القيم الذى لا عوج فيه . العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . المثانى الذى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم .. يشدنا إليه حفظا وتلاوة ، وفهما وعملا ، والصوم خير وسيلة تقربنا من الله ، وترطب ألسنتنا بكلامه ، وتمنحنا عفوه وتحقق لنا رضاه .

□□□□

إننا نعيش فى عصر كل ما فيه جديد كل الجدة فى حياة البشرية المادية ، وقد حقق الإنسان فى هذا القرن من التقدم العلمى والتطور المادى ما لم يحققه فى القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض الى السماء ، ولكنه بجانب هذا أخفق إخفاقا كبيرا فى مجال القيم الانسانية ، وكل ما احرزه من تقدم لم يزده إلا ضراوة وحيوانية ، ومعنى هذا أن جميع النظم والقوانين والمناهج التى وضعت لتربية الانسان واصلاحه فشلت فشلا ذريعا ومن أجل هذا تنادى المصلحون لاعادة بناء الانسان من جديد ، والمنهج الوحيد لاصلاح النفس الانسانية هو منهج الله المتمثل فى كتابه وسنة رسوله ، والوسائل للانتصار على النفس والتسامى بها هى طاعة الله وعبادة الله وفى مقدمتها الصوم ، ثم اضاءتها وتحريكها بالقرآن الكريم (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) و (الصوم جنة).

رضوان البيلى

دراسات في القصص القرآني :

المرأة ومكانها في

١ ــ للمرأة مكانها فى الحياة مع الرجل .. ونشاطها الانسانى فى الحياة مكمل لنشاط الرجل ، ولا يختلف عن نشاطه الا بالقدر الذى يختلف فيه تكوينهما العضوى وما ينشأ عن هذا الاختلاف من وجود استعدادات خاصة فى كل منهما تجعله أقدر على القيام ببعض الوظائف من صاحبه ، واكثر استعدادا له منها ..

فالمرأة والرجل هما الانسان ، كل منهما ذهب بأحد شطريه .. فهما متماثلان ، ومتغايران فى وقت معا .. وبهذه النظرة ، ينظر القرآن الكريم الى المرأة فى تشريعاته وأحكامه،وفى أوامره وزواجره، وفى تعاليمه ووصاياه ، وفى حسابه وجزائه .. فهو يسوى بينهما حين يكون الحكم متعلقا بشأن انسانى ، يقوم على أصل الفطرة المركوزة فى الانسان .. ثم هو يفرق بينهما حين يكون الأمر شأنا خاصا بالرجل ، أو أمرا منوطا بالمرأة .

٢ ــ وفى القصص القرآنى ، يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص ، حيث تأخذ المرأة مكانها فيه كانسان وكامرأة معا .. فهى كانسان لها دورها الذى تشارك به فى صنع الاحداث ، وفى دفع مسيرة الحياة الانسانية ، وما يتطلبه ذلك من نشاط مادى ، وعقلى .. وهى كأنثى لها دورها فى القيام على وظيفة الامومة ، ورعاية الاطفال ، والسهر على راحتهم ، واعدادهم للحياة اعدادا جسديا ، وعقليا ، وخلقيا ..

القصص القرآني

للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

فهى انسان ، عاقل رشيد ، يزن الامور بعقله ، ويتعرف على مواقع الخير ببصيرته ، ثم الى جانب هذا العقل ، وهذه البصيرة ، ارادة قاطعة ، ورأى جميع ، يقهر الحدود ويحطم القيود ، ليعبر عن مشيئته وارادته على الوجه الذى شاء واراد .. ولهذا كانت المرأة مناطا للتكليف ، وأهلا للثواب والعقاب ، شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وفى مخاطبات القرآن الكريم للانسان بقوله تعالى : **(يايها الانسان)** خطاب للرجل والمرأة معا .. مثل قوله تعالى : **(يايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه)** (٦ الانشقاق) .

ومثل قوله جل شأنه : **(أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .. أنه كان ظلوما جهولا)** (٧٢ : الأحزاب) .

ومثل مخاطبات القرآن الكريم للانسان ، مرادا به الرجل والمرأة ، مخاطباته للناس ، كقوله تعالى : **(يايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء)** (١ : النساء) — وكقوله سبحانه : **(يايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا)** (٣٣ : لقمان) .

وهكذا تجىء مخاطبات الحق سبحانه وتعالى للرجال والنساء

خطابا عاما للانسان ، وللناس حيث الانسان ذكر أو أنثى ، وحيث الناس ذكور أو إناث ..

هذا ، وقد تجيء مخاطبات الله سبحانه وتعالى للرجال وللنساء مفصلة ، بمعنى أن يذكر الذكور ، وفى مقابلهم الاناث ، وفى هذا ما يجعل التوازن قائما بينهما فيما تقرر الشريعة لهما من حقـوق ، وما تفرض عليهما من واجبات ، كما يقول سبحانه : (**ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمـات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) . وكقوله سبحانة : (**فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض**) .

٣ ــ وكما أن فى الرجال الأخيار والاشرار ، والعقلاء والسفهاء، فكذلك فى النساء الخيرات والشريرات ، والعاقلات والسفيهات .. انهم جميعا ثمر شجرة واحدة ، وكما يكون فى ثمر الشجرة السليم والمعطوب ، والجيد والرديء ، فكذلك كانت شـجرة الانسانيـة ، وما تعطى من ثمر ، بعضه صالح وبعضه فاسد ، وبعضه جيـد ، وبعضه رديء .. (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (٣٥ الأنعام).

وفى القصص القرآنى نماذج متعددة للمرأة فـى مستوياتهـا المختلفة ، فى علوها واسفافها ، وفى رشدها وغيها ، وفى هداهـا وضلالها .. شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وتحـت سقف البيت الواحـــد ، يعرض القصص القرآنى الزوجين ، المرأة والرجل ، وكل منهما قد أخذ طريقـا غير طريــق صاحبه ، فتارة يكون الرجل غويا ضالا ، غارقا فى الضلال ، علـى حين أن امرأته تكون على رشد وهدى ، وعلى ايمان وتقوى ، كمـا ذكر القرآن الكريم ذلك عن امرأة فرعون التى كانت فى صحبة هذا الانسان الذى أعماه الغرور ، فكفر بأنعم الله ، ثم تمادى فى كفره وطغيانه حتى ادعى الالوهية لنفسه ، وأبى على من تحت سلطانه الا أن يتخذوه الها يعبد من دون الله ، وقد استجابوا له ، واتبعوا ضلاله وهواه ، كما يقول سبحانه : (**فاستخف قومه فاطاعوه ، انهم كانوا قوما فاسقين**) ..

ومع هذا الجو المكفهر ، وفى وسط هذا الظلام الكثيف ، فان شعاعا من نور قد ظل مضيئا فى قلب امراة فرعون ، فابصرت طريقها الى الحق ، ووجهت وجهها الى الخالق المعبود ، رب السموات والأرض وما فيهن ، وخرجت من سلطان فرعون ، وحررت ضميرها من تسلطه على ايمانها بالله رب العالمين ، فكان لها عند الله تعالى هذا الذكر العظيم فى القرآن الكريم ، يرى فيه المؤمنون المثل الصادق للعقل الرشيد ، والارادة القوية ، والعزيمة الماضية فى امراة يرجح ميزانها اعداد الحصا من الرجال الذين زهدوا فى عقولهم ، واتبعوا اهواءهم ، فيقول جل شأنه : (**وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين**) (١١ : التحريم) وقد استجاب الله تعالى لها دعاءها ، واعد لها بيتا فى الجنة .. فهنيئا لها ما اعطاها ربها من كريم فضله وعظيم إحسانه ..

وعلى عكس هذا ، نجد المرأة التى تلج فى الضلال والعناد ، وتأبى أن تفتح عينيها لأنوار الحق التى تتلألأ فى البيت الذى يضمها مع زوجها ، فتركب رأسها ، وتأخذ طريقها مع الغواة الضالين ، وترد معهم موارد الهالكين .

فهذه امراة نوح عليه السلام ، تتأبى عليه أن تستجيب لدعوة الحق التى يدعو بها ، وتصر فى عناد لئيم الا تنصر دعوته ، والا تكون فى جبهة الايمان مع المؤمنين الذين استجابوا له .. ومثل امراة نوح امراة لوط التى أبت أن تأخذ مكانها مع هذا النبى الكريم ، وأن تقفو أثره وتتبع خطوه ، وتكون دعوة من دعوات الحق والخير التى يدعو اليها ..

وقد عجل الله تعالى للمراتين العقاب فى الدنيا ، واعد لهما العذاب الاليم فى نار جهنم فى الآخرة .. فيقول سبحانه عن امراة نوح وامراة لوط ، وقد ضربهما الله تعالى مثلا للكفر والضلال ، وما يلقى الكافرون والضالون : (**ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**) .

انهما امراتان فى بيت النبوة ، كل واحدة منهما امراة نبى ، تملأبيته أنوار السماء ، وتغدو وتروح فيه ملائكة الرحمن ، وهى تشهد هذا وتحضره ، ثم هى مع هذا تأبى الا جماحا ونفارا عن الحق والخير ، والا امعانا واصرارا على الضلال والكفر ..

٤ ـــ وهذا موقف تبدو فيه المرأة ، وكأنها خارجة على طبيعتها منحرفة عما ينبغى أن يكون منها من القيام وراء زوجها تشد ازره ،

وتأخذ بناصره ، وخاصة اذا كان بالمكان الذى يدعو فيه الى الخير ، ويبشر بالرحمة والمودة ، ثم لا يجد من الناس الا نفورا منه ، واستخفافا به ، وعدوانا عليه ، انها ان لم تنتصرله فى تلك الحال لشخصه وللحق الذى يدعو اليه ، فلتنتصر له فى شخص رجلها وابى ابنائها .. فان لم يكن منها هذا او ذاك ، فلتعطفها عاطفة الرحمة من الضعيف الى الضعيف ، فالمرأة بطبعها ضعيفة تكره التسلط،والبغى، يتربى فى حجرها الانسان فى أضعف أحواله ، فتغذوه بحنانها ، وتكسوه برحمتها وعطفها ، وتسهر عليه بقلبها وعقلها .. والنبى الكريم ، الذى سكن اليها وسكنت اليه فى حال قد اجمعت عليه فيها قوى الشر والبغى ، تنوشه بألسنتها ، وترميه بالحقد والشنآن من أعينها ، وتلقاه بألوان الضر والأذى فى كل موقف يقفه وكل سبيل يسلكه .. وتلك حال من شأن المرأة فيها أن تكون أرق قلبا وألين جانبا من الرجال ..

وعلى أى فلا بد أن تقيم الحياة فى المجتمع الانسانى شواهد للمنحرفين من الرجال والنساء على السواء ..

فأمرأة نوح وامرأة لوط مثلان للشواذ المنحرفات من النساء .. فاذا كان فى النساء — وهذا فى الكثير الغالب — من يكن مع رجالهن اينما كانوا ، فان فيهن هذا الصنف المشاكس المخالف الذى لا يرضى أن يعيش فى غير الخلاف والمشاكسة .. واذا كان كثير من النساء قد ابى عليهن عقلهن ورشدهن أن ينسقن فى طريق السفه والضلال الذى ركبه أزواجهن ، فان كثيرا منهن ايضا قد التقين مع أزواجهن على الباطل ، وتقاسمن معهم الشر الذى يغرسونه فى منابت الخير .. وفى امرأة أبى لهب المثل لهذا ، فقد كان لها فى القرآن الكريم مع زوجها أسوأ المثل للشر يجتمع الى الشر ، والسفه يتآخى مع السفه .. فيقول سبحانه وتعالى : **(تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد)** (سورة المسد) .

٥ — ثم اننا نجد فى القصص القرآنى المرأة (الأنثى) تستجيب لطبيعتها فى طلب الزوج ، وفتح منافذ وصوله اليها ، فى تلطف ومداراة ، من غير أن يخدش حياؤها ، أو تجرح كبرياؤها ، فتبدو مطلوبة وهى طالبة وتظهر متمنعة وهى راضية .. وهذا ما يقصه علينا القرآن الكريم عن ابنة النبى الكريم شعيب عليه السلام ، مع موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه : **(ولما ورد ماء مدين وجد عليه**

أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما امراتين تذودان ، قـال ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى ، حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير .. فسقى لهما ، ثم تولى الى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير) (٢٣ و ٢٤ القصص) .

فالمراتان اللتانتذودان غنمهما ، هما ابنتا شعيب عليه السلام، وقد سقى لهما موسى ، دون ان يعلم من ابوهما .. (فجاءتــه احداهما تمشى على استحياء ، قالت إن ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) (٢٥ : القصص) لقد ارسل شعيب احدى ابنتيه لتدعو هذا الطارىء الغريب الذى سقى لهما ، ليكون فى ضيافته يوما ، أو بضعة ايام .. (فجاءته احداهما تمشى على استحياء ..) لقـد تجسد الحياء حتى لكأنه بساط تمشى عليه .. انها لا تمشى علـى الارض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه خطاها ويضطرب كيانها .. فاذا وصلت الى حيث يجلس موسى ، خاطبته فى خفر ، وعفـة وحياء قائلة : (ان أبى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا) .

ويستجيب موسى لهذه الدعوة الكريمة ، ويمشى بين يدى تلك الابنة التى حملت اليه دعوة أبيهـا ، حتى يلتقى بشعيب ، ويأنس اليه ، ويعرف كل منهما صاحبه ، ويعلم شعيب سبب مجىء موسى فارا من مصر الى أرض مدين ، فيقول له شعيب مطمئنا : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) (٢٥ : القصص) .

وهنا تجدها ابنة شعيب فرصة فى الامساك بهذا الرجل القوى الأمين أن يفلت : (قالت احـداهما يا ابت استأجـره أن خير من استأجرت القوى الامين) .

إنها هى نفس الابنة التى بعث بها ابوها الى موسى لتدعوه الى ابيها ، لينزله منزل الضيفان ، وهو الغريب المنقطـع عـن أهله ..

٦ ــ وفى القرآن نجد المراة (الأم) التى تفيض مشاعرهـا بعاطفة الأمومة ، فتذهل معها عن كل شىء ، وتنسى معها كل شىء .. فهذه امراة فرعون ، وقد جاء الملأ من أعوان فرعون بهذا الوليد من بنى ــ اسرائيل ــ وهو موسى عليه السلام ــ ليقتله كما يقتل غيره من مواليد بنى اسرائيل ، وما ان تكاد المراة ترى الوليد الـذى التقطوه من اليم ، يعرض للقتل ، حتى تصرخ فيها عاطفة الأمومة ، ولا تحفل بما قرره فرعون فى أمر هؤلاء المواليد ، ولا ترهب سلطانه، وما قد تلقاه من مصير ، فتقول : (قرة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى

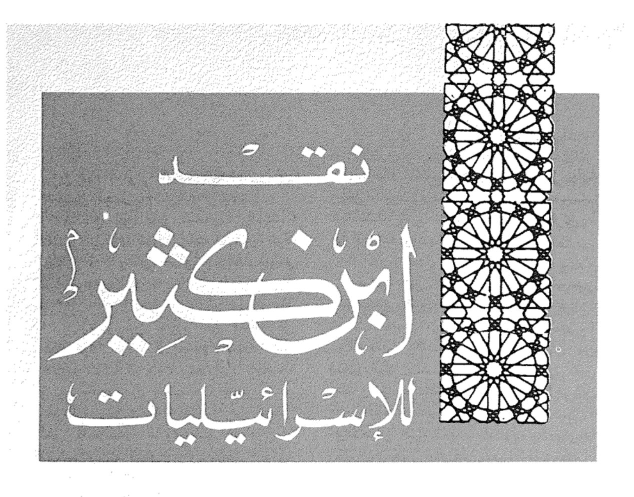
ان ينفعنا أو نتخذه ولدا) (٩ القصص) ويفيق فرعون من هـــذه المفاجأة وتحرك هذه الكلمات فى نفسه عاطفة الأبوة التى حرمه الله منها ، فيمسك عن قتل هذا الوليد ، أرضاء لزوجــه ، وترضيـــا لمشاعرها وقد حرمها الله الولد منه .

٧ ــ ومن هذا نرى أن المرأة نســيج متلاحـم من التركيــب الطبيعى للحياة الانسانية ، وانها تأخذ مكانها فى القصص القرآنى كانسان ، وكأنثى معا .. أما ، وزوجة ، وأختا ، وابنة ، تقــوم بوظيفتها فى الحياة ، بمالا يخرج عن طبيعتها كأنثى ، فتهتدى ، وتضل وتستقيم وتنحرف ، وهى فى جميع احوالها انثى تنـــاظر الرجـــل ، وتقاسمه الحياة من غير أن تزاحمه فى وظيفته كرجل ، ومن غير أن يزاحمها الرجل فى وظيفتها كأنثى .. وبهذا تنتظم حيـــاة الجسد الاجتماعى ، الذى يقوم كل عضو فيه بوظيفته التى لا يقوم بها غيره ، والتى ان كلف القيام بوظيفة غير وظيفته عجز ، ودخل من عجزه هذا الاضطراب والاختلال فى توازن الجسد كله .

والقصص القرآنى لا يستجلب المرأة استجلابا لاثارة العواطف، وتهييج المشاعر ، كما هو الشأن الغالب فى القصص الأدبى ، الذى تستجلب له المرأة لاثارة الغرائز ، وتهييج المشاعر ، واسترضاء القراء لهذا القصص ، أو المشاهدين له فى عمل مسرحى أو سينمائى .

فالقرآن اذ يذكر المرأة فى قصة من قصصه فانما يستدعيهــا من الواقع الذى كان مشهودا فى يوم من الأيام ، ثم يحركها وينطقها بما كانت قد تحركت أو نطقت به ..

فكل امرأة جاء ذكرها فى القصص القرآنى ، سواء ذكرت باسمها ، كمريم ابنة عمران ، أو بصفتها كامرأة نوح ولوط ، وابى لهب وكامرأة فرعون ــ كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانها فى الحياة ، وكان لها دورها على مسرح هذه الحياة ــ فهى ــ والأمر كذلك ــ حقيقة تاريخية ، لا شك فيها ولا امتراء ، وصورتها فى القصة القرآنية ، هى صورة مصغرة لها ، تحمل أبرز ملامحها ، وأوضح صفاتها .. فما ذكر القرآن الكريم فى قصصه الا الحق ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (**وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل**) (١٠٥ : الاسراء) .. انه كلام الله ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه الحق : (**قوله الحق وله الملك**) (٧٣ : الانعـــام) .. (**والله يقول الحق وهو يهـدى السبيل**) .



للأستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

(٢)

أوضحت فى المقال السابق الذى نشر بالعدد رقم ١٠٧ أقسام الاسرائيليات وموقف ابن كثير منها :

فالأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا من الحق . وهو صحيح مقبول .

والثانى : ما علمنا كذبه مما عندنا من الأدلة الصادقة . وهو مردود مرفوض .

والثالث : وهو المسكوت عنه . لا نؤمن به ولا نكذبه . وتجوز روايته .

ونزيد الأمر وضوحا — فى هذا المقال — فيما يتعلق بالقسم الأخير . ونعرض منهج ابن كثير فى نقده للاسرائيليات .

من الأمور البدهية أن دين الاسلام قد كمل فى عقيدته وشريعته ومنهاجه منذ انتقل المبلغ الأعظم — صلى الله عليه وسلم — الى الرفيق الأعلى .

واذا كان من المستحيل — عقلا — أن تمنّ قناة اضمحل ماؤها ، وتعكر وردها وقل خيرها على نهر فاض ماؤه ، وصفا ورده ، وكثر خيره ، فمن المستحيل كذلك أن تضيف الاسرائيليات شيئا ذا بال يكمل ديننا بعد نقصان أو يوضحه بعد ابهام !

ان من الخطأ البين الذى وقع فيه الكثيرون من المفسرين — غفر الله لهم — أن توضع كلمات اسرائيلية لا

وزن لها بجوار آيات الله على انها تفصيل لمجمل أو توضيح لمبهم !

ذكر ابن كثير سبب رفضه للاسرائيليات فقال عند تفسير قوله تعالى : « **والقى الألواح واخذ براس اخيه يجره اليه** » (١) .

« روى ابن جرير عن قتادة فى هذا قولا غريبا لا يصح اسناده الى حكاية قتادة . وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون وأفاكون ، وزنادقة » (٢) .

وعقد موازنة بين علمائنا وعلماء أهل الكتاب فقال : « فى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة ، والأتقياء والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه » (٣) .

وهذا المنهج الجيد الذى سار عليه ابن كثير فى تفسيره نجده أيضا مطبقا فى موسوعته الكبرى : (البداية والنهاية) فى التاريخ .

واذا كان المؤرخون يتسامحون فى ذكر كثير من الأخبار الواهية ، ويجمعون بين الغث والسمين ، والسقيم والصحيح بحجة (أن من نقل إليك فقد حملك) فان ابن كثير — وهو المحدث المدقق — قد أعرض عن الأفك الاسرائيلى الفاضح ، والأخبار التى لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل . غير أنه اذا ذكر شيئا من الاسرائيليات التى أذن الشارع فى نقلها مما فيه بسط لمختصر وتسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه ، فانه يذكره على سبيل التحلى لا على سبيل الاحتجاج إليه ، والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عيه وسلم — ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف يبينه (٤) .

قد يشعرك كلام ابن كثير هذا ، بأن تشدده قد قل ، وحدته قد هدأت عما رأيناه فى التفسير . وهذا حق . وما كنا نود أن يذكر شيئا من الاسرائيليات لا على سبيل التحلى ولا غيره .

وهذا الاحساس جال فى خاطر ابن كثير ، فعاد وقرر أنه قد اتخذ منهجا فريدا فى البعد عن الاسرائيليات والخرافات ، وانكار ما

خالف ديننا وابطـــاله (وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتزاحم فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب مما لا فائدة فيه الكثير من الناس اليه ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولســنا نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها الا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، وما خالفه نوقع فيه الانكار)(٥) .

ولعل هذا هو السبب فى وقوف ابن كثير طويلا أمام الروايات التى ذكرها فى موسوعتـــه ، يوضـــح اسنادها ومتنها ، وصحتها أو ضعفها ولا يقبل الروايات على عــلاتها بل يناقشها ، ويدقق فيها ، باعتباره علما من أعلام الحديث .

وهو منهج فريد فى دراســـة التاريخ لولا ما فاته من الاسرائيليات فى (البداية) وكذلك التفسير وهو ــ على كل حال ــ قليل . وســنذكر الاسرائيليات التى فاتته فى تفسيره فيما بعد ، ونناقشها ان شاء الله .

منهـــج ابن كثير فى نقـــد الاسرائيليات :

لمنهج ابن كثير فى نقد الاسرائيليات جوانب متعـــددة :

أ ــ نقد يشير اليها ويعرض عنها .
ب ــ أو يذكرهـــا منســوبة الى (بعض المفسرين) مفندا لها .

جـ ــ أو ينسبها الى قائلها مـــع مناقشة لها وبيان لبطـــلانها .

أ ــ الاعراض عن ذكر الاسرائيليـــات :

يذكر ابن كثير فى كثير من الآيات انه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنـــا عنها صفحا . وقد علل وجهة نظره فى عدم ايرادها بأن بعض الروايات يستحى من ذكرها ، وبعضها الآخـــر لا يذكره خشية الاطالة ، أو لما فيه من اختلاق وافتراء ، أو لقلة ثمرته .
وهذه نماذج لما أعرض عنه :

١ ــ قال فى تفسير قوله تعالى : **(فخسفنا به وبداره الأرض)** (٦) ، « وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبـــة أضربنا عنها صفحا » (٧) .

٢ ــ وفى قصة ايوب عليه السلام ذكـــر كثير من الأســـاطير والآثار المختلفة والتى رواها الطبرى وابن أبى حاتم والخازن وغيرهم ، لكن ابن كثير يقول فى هذا :

« روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قصة طويلة ساقها ابن جـــرير وابن أبى حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخـــرى المفسرين ، وفيها غـــرابة ، تركناهـــا لحـــال الطول » (٨) .

٣ ــ وفى تفسير قوله تعـــالى : **((وهل أتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب ..))** (٩) والآيات المتصلة بقصة داود عليه السلام تجد كثيرا من المفسرين ــ كالطبرى ــ على علو مكانته وشأنه ــ ومقاتل بن سليمان وغيرهما ــ يذكرون كلاما منكورا ، وقصصا ملفقا من شـــأنه أن يرمى الأنبيـــاء بما ليس فيهـــم ، ويخـــل

بعصمتهم ، وجنابهم الأعلى .

لقد قالت الاسرائيليات ــ وبئس ما قالت ــ ان داود تحايل على أحد قواده ليقتله حتى يتزوج امراته بعد ان اعجبه حسنها ، مع ان داود كان تحته من النساء ــ حسبما تقول الرواية ــ تسع وتسعون زوجة .. الى آخر هذا الكذب المحبوك ..

وقد فسرت النعاج فى الآية ــ على باطلهم ــ بالنساء مع أن العلاقة بين الكلمتين مبتوتة .

لكن ابن كثير ــ وهو الحافظ النّاقد ــ يقول عند تفسير قصة داود :

(وقد ذكر المفسرون ههنا قصة اكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه) (١٠) .

٤ ــ قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب .. »** (١١) :

(وقد روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا ، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث .

والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته ؟!

وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة ابو الحجاج المزى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت فى هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ما هو موضوع من وضع زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن فى غنية ولله الحمد ، وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله اليهم) (١٢) .

٥ ــ وفى تأويل قوله تعالى : **(فلما افاق قال سبحانك تبت إليك وانا أول المؤمنين)** (١٣) قال : (وقد ذكر محمد بن جرير فى تفسيره ههنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار ، وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم) (١٤) . . وأحجم عن ذكر هذا الأثر الغريب والعجيب .

٦ ــ وفى تفسير الآيات المتعلقة بذى القرنين قال عند قوله تعالى : **(حتى اذا بلغ بين السدين)**(١٥) .

(وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى سير ذى القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم ، وقصر بعضهم وآذانهم .

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه ــ فى ذلك ــ أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها والله أعلم) (١٦) .

٧ ــ وفى (تفسير ابن مردويه) تجد منكرات وغرائب يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)** (١٧) : (وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا) (١٨) وأعرض عن ذكره .

٨ — لقد وقع كثير من المفسرين — وعلى راسهم الطبرى — فى اسرائيليات ما كان لهم أن يضمنوها كتبهم أو يسودوا بها صحفهم .

من ذلك ما يتعلق بقصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضى الله عنها . ولقد راج — للاسف الشديد — قصص اسرائيلى مخرف حول قصة الزواج واسبابه قديما — كتفسير الطبرى ومقاتل — وحديثا كما نجد فى بعض كتابات المعاصرين .

يقول بعض من تصدوا للكتابة عن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم حديثا :

« افينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيعجب بها ؟ وماذا يطلب من مثله فى سمو خلقه ، وعفة ضميره اكثر من أن يشيح بوجهه عمن أعجبته وهو يسبح باسم الله المظيم مقلب القلوب ؟ وأى ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد فى طلاقها فيأبى عليه الا أن يمسكها ويتقى الله ؟! » (١٩) .

وهذا كلام لا يليق بقدر النبى ومقامه الكريم ، وهل يصل الأمر الى حد يدافع فيه هؤلاء القوم عن اسرائيليات مكذوبة مفضوحة ، وضعت افتراء على رسول الله ، وعلى كتاب الله ؟!

لقد بلغ الجهل والحمق ببعض الناس أن وضع كتابا — كما يقول ابن القيم — فى العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زينب !

يقول ابن القيم — صديق ابن كثير الحميم وزميله فى الدراسة :

(واما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلى به فى شأن زينب بنت جحش ، وأنه رآها فقال : سبحان مقلب القلوب واخذت بقلبه ، وجعل يقول لزيد ابن حارثة أمسكها حتى أنزل الله عليه (واذ تقول للذى انعم الله عليه ..) الآية .. فظن هذا الزاعم أن ذلك فى شأن العشق . وصنف بعضهم كتابا فى العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل ، وتحميله كلام الله ما لا يحتمله ، ونسبته رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى ما براه الله منه) (٢٠) .

ان الفرض الأساسى فى قصة زواج زينب رضى الله عنها هو احلال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبنى ، وكانت العادة المتأصلة فى نفوس العرب تأبى ذلك . فندب الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو القدوة الحسنة لكسر هذا التقليد الذى استشرى فى أرجاء الجزيرة العربية ولا يقره شرع الله الحكيم .

فاذا ورد — بعد ذلك — قصص يحاك حول رسول الله ، واعجابه بزينب وانها طلقت ليتزوجها الرسول لوقوعها فى قلبه ، فهو محض افتراء وافك مبين .

حقيقة كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وكان أحبهن اليه عائشة رضى الله عنها ولم تكن

تبلغ محبته لها ، ولا لأحد سوى ربه نهاية الحب كما يقول ابن القيم . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا) وفى لفظ (وان صاحبكم خليل الرحمن) .

وها هو ابن كثير يعقب على تلك الروايات التى لفقت من قبل فيقول :

(ذكر ابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها .

وقد روى الامام أحمد ههنا أيضا حديثا من رواية حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا) (٢١) .

فهل يجوز لأحد من المستشرقين او من يدور فى فلكهم أن يعتبر هذه الروايات المكذوبة ، والاسرائيليات الهابطة ، حقائق يجب الدفاع عنها بعد أن قال ابن كثير وزميله ابن القيم منذ ما يزيد على ستمائة عام انها غير صحيحة ؟!

يقول الدكتور مصطفى زيد — مد الله فى عمره — وهو يرد على هذا البهتان :

(ولسنا ندرى كيف تبلغ بهم الجرأة الى حد الدفاع عن اسرائيليات لفقت قبل الطبرى ..؟) ثم لماذا يحتجون بمفسر كالزمخشرى لم يعرف بالحفظ والرواية فى أمر يحتاج اليهما ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هو الحافظ ابن كثير) (٢٢) . ثم نقل النص الذى أوردناه عن ابن كثير سابقا .

هذه بعض الاسرائيليات التى اعرض عنها ابن كثير ولم يذكرها فى تفسيره مع اشارته الى من ذكرها وتنبيهه على عدم صحتها .

لكننا نجده يذكر فى مواضع اخرى كثيرة من تفسيره اسرائيليات منسوبة الى قائليها ويناقشها ويدحضها سندا ومتنا . **وهو ما سنبينه فى مقال آخر أن شاء الله .**

---

(١) الاعراف : ١٥٠/٧

(٢) تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢ ط الحلبى.

(٣) المصدر السابق : ٨٩/٣

(٤) انظر البداية والنهاية : ٦/١

(٥) المصدر السابق : الموضع نفسه .

(٦) القصص : ٨١/٢٨

(٧) تفسير ابن كثير : ٤٠١/٣

(٨) المصدر السابق : ١٨٨/٣

(٩) ص : ٢١/٣٨

(١٠) تفسير ابن كثير : ٣٠/٤ ، ٣١ .

(١١) الاسراء : ٤/١٧

(١٢) تفسير ابن كثير : ٢٥/٣

(١٣) الأعراف : ١٤٣/٧

(١٤) تفسير ابن كثير : ٢٤٥/٢

(١٥) الكهف : ٩٣/١٨ .

(١٦) تفسير ابن كثير : ١٠٤/٣

(١٧) آل عمران : ١٠٦/٣

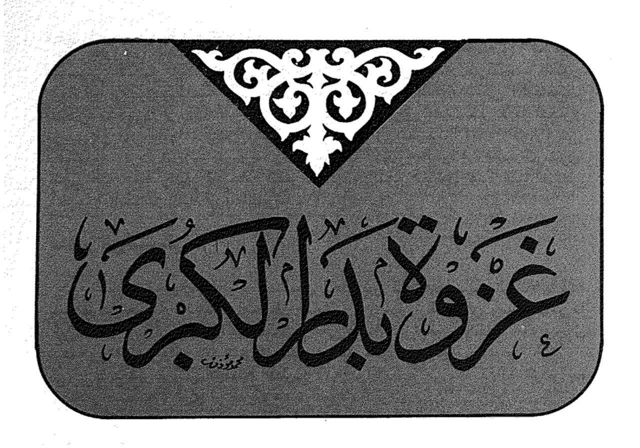
(١٨) تفسير ابن كثير : ٣٩٠/١

(١٩) انظر : نساء النبى : ١٤١ دار الهلال

(٢٠) زاد المعاد : ١٥١/٣

(٢١) تفسير ابن كثير : ٤٩١/٣

(٢٢) سورة الأحزاب عرض وتفسير : ١٥١ ، ١٥٢ طبعة دار الفكر العربى .



للدكتور عبد الله محمود شحاته

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وتركوا أرضهم وأموالهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وفى المدينة وضعت دعائم الدولة الجديدة وبنى المسجد النبوى ، وكان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومقرا لاستقبال الوفود ، ومنتدى للاجتماع ، ومؤسسة اجتماعية تربوية للتعليم والتهذيب .

وكان القرآن فى المدينة يشرح العقيدة ويوضح أصول الدين وأهداف التشريع وحقوق الأسرة ويبين نظام العلاقات بين الأفراد والجماعات .

والاسلام فى طبيعته نظام عام ودعوة عالمية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد وقفت قريش فى سبيل هذه الدعوة ، وعرضت المسلمين لجميع صنوف الأذى والاضطهاد وصادرت أموالهم وحقوقهم ، والقانون الدولى يبيح للدول أن تقتص لنفسها من غرمائها ، وقد أباح الله للمسلمين أن يقاتلوا ، دفاعا عن أنفسهم وردعا لطواغيت الكفر وتحطيما لكبرياء الظالمين ، قال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) .

قافلـــة أبى سفيـــان

نمى الى علم المسلمين أن قريشا أسهمت فى تجارة عظيمة قدر ما فيها بخمسين الفا من الدنانير وأن هذه التجارة تسير فى قافلة يحرسهـا ثلاثون رجلا أو أربعون برئاسة أبى سفيان وستذهب هذه القافلة الـى الشـــام للتجارة ثم تعود الى مكة ، ولما كانت المدينة على طريق الشام كان لا بد لتجارة قريش أن تمر عليها ، وكان المسلمون يريدون أن يتعرضوا لهذه التجارة فى ذهابها فسافرت قبل أن يدركوها وحين قاربت التجارة العودة ، ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لهذه التجارة وقال هذه عير لقريش اخرجوا اليها عل الله أن ينفلكموها (١) .

نـــذير الى قـــريش :

علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته فأرسل الى أهل مكة يستنفرها لحماية القافلة واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه مسرعا الى مكة ، وما أن وصل اليها ضمضم حتى قطع أذنى بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح :

يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (٢) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

فخرجت قريش على الصعب والذلول وكان أبو جهل يستنفر الناس عند الكعبة ويحثهم على الخروج من مكة لقتال المسلمين وحماية التجارة .

نجـــاة القافلـــة :

نجا أبو سفيان بتجارته وسار متبعا ساحل البحر ، وارسل الى قريش يشير عليهم بالرجوع ، فقال ابو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالـــون يهابوننا أبدا ، وقد عاب القرآن على المشركين غرورهم بقوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

جيش المســـــلمين :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من المدينة لثمان خلـــون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وكانت أمـــام المسلمين فى مسيرتهم رايتان سوداوان ، وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيرا يتعاقبون عليها وكل أربعة يعتقبون بعيرا . وكان حظ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا كحظ سائر أصحابه . فكان هو وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، مائتان ونيف وأربعون من الأنصار والباقون من المهاجرين .

جيش المشركين :

تميزت قريش فى بلاد العرب بالجاه والمنزلة الرفيعة وتمتعت بالسيادة الدينية والسياسية وكان اهل مكة يتميزون بالغنى والثروة والتدريب على الحروب ، وكانوا على علم تام بضروب القتال كما هى الحال فى العالم فى ذلك العصر ، فكانوا يعرفون فنونه وأدواته كما تعرفها الأمم المحيطة بهم ، وبذلك اصبحت مهمة المسلمين فى انتزاع النصر من قريش شاقة عسيرة .

كان جيش قريش ينطق بما لها من قدرة اقتصادية وعسكرية ، فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول، وكان معها من الأبل ما يكفى لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم ، وكان كل ما يعرف من أنواع السـلاح إذ ذاك متوافرا لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب وخصوصا هذه المعركة .

مقارنـــــة :

كان جيش قريش اقوى وأكثر ولكن المسلمين كان معهم سلاح لا يملكه اعداؤهم :

معهم الله : أيدهم بنصره وارسل النوم الى عيونهم ليلة المعركة ، وانزل المطر ينعش أبدانهم ، والملائكة تؤيدهم (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط عـلى قلوبكم ويثبت به الأقدام) .

معهم الله : أراد أن يجعل من بدر فرقانا بين الحق والباطل وأن تكون بدر هزيمة للمشركين ونصرا للمؤمنين وأن تدفن قريش كبرياءها وجبروتها وسطوتها فى معركة بدر .

(واذ يعـدكم الله إحدى الطـائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحـق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

معهم الله : نصروا شرعه ونفذوا تعاليمه وأيدوا نبيه فبـارك اللـه المسلمين وأيدهم بروح من عنده .

(والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) .

معهم الله : كان يؤيد خطاهم ويبارك عملهم ويقوى جنانهم فتنهال سيوفهم على رقاب المشركين تحصدهم حصدا .

(اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الـذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

معهم الله : ومن وجد الله وجد كل شىء ومن فقد الله فقد كل شىء ، عند الله جنود كثيرة واسلحة متعددة عنده سلاح الملائكة وسلاح الرعب والخوف وسلاح الريح العاتية (وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر) .

كيف دارت المعركـة :

تلاقى الفريقان عند قرية بدر (٣) . وقد تقدم جيش المسلمين من الشمال الى الجنوب ، فلما وصل الى ساحة بدر كانت على ميمنته سلسلة من التلال

المرتفعة وكذلك على ميسرته سلسلة أخرى اقل ارتفاعا .

وتقدم جيش المشركين ، وكان أمامه كثبان من الرمل تقع غرب وادى بدر وعلى ميسرته أرض صخرية قليلة الارتفاع .

فى السهل الذى بين هذه الجبال وهذه الكثبان وقع أول تصـــادم بين القوتين ، وكانت الليلة التى سبقت المعركة شاتية ، فهطل مطر غزير فى ناحية قريش ، وكان اقل غزارة فى ناحية المسلمين ، مما جعل مهمة قريش فى التقدم الى ساحة بدر أشق من مهمة المسلمين ، ولما تقدموا فى الصبــــاح استقبلت المشركين الشمس من المشرق وهم متجهون اليها ، فكـــانت من العوامل الطبيعية المؤذية لهم . نشبت المعركة كما تنشب المعارك فى ذلك العصر ، بفرسان يتقدمون الصفوف ويتصارعون ، فتقدم ثلاثة من بنى هاشم ، ولقيهم ثلاثة من صناديد المشركين ، وفى دقائق معدودة فتك المسلمون بأندادهم فكان هذا استفتاحا حسنا للقتال . وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الأمر الحكيم ، أمر الكتيبة الاسلامية أن تتراص والا تتحرك من مكانها ، وأن تصد بالنبال خيل العدو وهى تأتيها من جوانبها فرأت قريش لأول مرة كيف تثبت الراجلة أمام حملات الخيالة غير هيابة ولا مرتبكة . وللخيالة رهبـــة عظيمة فى هجومها يعرفها الذين مارسوا الحرب وشاهدوها .

دعاء الرسول وبلاؤه :

حمى وطيس المعركة ورسول الله يدعو ويحرض على القتال ، ينظر الى المشركين فيقول . اللهم هذه قريش جاءت اليك بخيلها ورجلها تحارب دينك وتكذب نبيك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .

ويلتفت الى المسلمين فيقول : اللهم هؤلاء أتباعى حفاة فاحملهم عراة فاكسهم جياع فأطعمهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض .

والتفت النبى لأصحابه قائلا « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .

وفى حال النبى وأصحابه هذه نزلت هاتان الآيتان :

(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) .

وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف ويحث على الثبات ويبشر المؤمنين بالنصر ، وتناول حفنة من التراب فرمى بها فى وجوه الكافرين وقال : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس فكانت حفنة التراب كأنها قنابل مسيلة للدموع فصار كل كافر يفرك فى عينيه والمسلمون يضربون أعنــــاق الكافرين ويقطعون رقابهم . قال تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

نتيجـة المعركـة :

انتهت معركة بدر بهزيمة المشركين فانطلق المسلمون فى اثرهم واثخنوا فيهم الجراح والقتل ، لا يلتفتون الى نهب ولا سلب ، كعادة العرب فى ذلك

العصر ، حتى انقلبت العظمة القرشية فرارا مخزيا ، وانكسارا غير مسبوق لقريش .

كانت قتلى قريش فى هذه المعركة خمسة امثال قتلى المسلمين وكان اسراهم مثل قتلاهم ، ولكن ليس المهم فى بدر عدد من دفنت قريش من القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم ، وإنما المهم هو ان قريشا دفنت فى وادى بدر سيادتها على الجزيرة العربية ، وليس الأمر الخطير هو ان المسلمين اخذوا سبعين أسيرا ، ولكن الأمر الخطير هو ان هامات المشركين العالية ورءوسهم المرتفعة وأوداجهم المنتفخة قد شدت بالأغلال والقيود وسار المشركون وراء دواب المسلمين وخيولهم وقد طأطئوا رءوسهم وأذلوا جباههم وأحنوا هاماتهم أمام قدرة المسلمين . وانتقلت القدرة العسكرية من مكة الى المدينة .

ارادة الله :

اراد الله ان تكون بدر ملحمة لا غنيمة ، وان تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبته ، ويبطل الباطل ويزهقه . وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيقتل منهم فريق ويؤسر فريق ، وتذل كبرياؤهم وتدول دولتهم وتخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا عن استحقاق لا عن مصادفة وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح امة وان تصبح دولة ، وان يصبح لها سلطان وقوة . وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية الى قوة اعدائها فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها وان تعلم ان النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيل والزاد ، انما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى التى لا تقف لها فى الارض قوة ابدا .

اراد الله ان تمضى بدر فى التاريخ كله قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو فى قلة من العدد ، وضعف فى الزاد والراحلة .

قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله وحين تتخلص من ضعفها الذاتى الا ان غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضى مثلا فى التاريخ ، الا وانها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة . الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية . الا وانها لكتاب مفتوح تقرؤه الأجيال فى كل زمان وفى كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها فهى آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية فى خلقه ما دامت السموات والأرض .

الشورى فى معركة بدر

الاسلام دين حرية العقيدة وحرية الرأى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) .

ومن مبادىء الاسلام ونظمه الشورى ، قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .

وفى بدر ظهر مبدأ الشورى واضحا ظاهرا ، استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مبدأ القتال هل يقاتل أم يرجع ، وذلك أن المسلمين

خرجوا للاستيلاء على قافلة ابى سفيان ثم فرت القافلة واصبحوا امام جيش مدرب بأحدث الأسلحة معد بأقوى العدد والعتاد ، فكرر عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه وقال أشيروا على ، فأدلى ابو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معــك والله لا نقول لــك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » .

وسكت الناس . فقال الرسول : أشيروا على ايها الناس . وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما احس الأنصار أنه يريدهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم ، التفت الى النبى الكريم وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل . قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعــة ، فامض لما أردت فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، أنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجــه الرسول بالمسرة وبدا عليه كل النشاط وقال : سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى انظر الى مصارع القوم .

وقد عمل النبى بمشورة أصحابه أيضا فى بناء عريش له وهو خيمة من خشب تدار منها المعركة أشبه بغرفة العمليات ، وقد بنى العريش بمشورة سعد بن معاذ زعيم الانصار الذى قال عند بدء القتال :

يانبى الله الا نبنى لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا . وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم يناصحونك ، ويجاهدون معك . وأثنى محمد صلى الله عليه وسلم على سعد ودعا له بخير . وبنى العريش للنبى حتى اذا لم يكن النصر فى جانبه لم يقع فى يد أعدائه بل يسرع الى المدينة ليجد الأنصار والاتبــاع مستعدين للجهاد والدفاع عن الحق وعن الدين .

وهنا نلمح وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للنبى وصدق ايمانهم برسالته ، ففى اشد حالات الحرج فكروا فى حماية النبى وتوقيته أن يظفر به عدوه ومهدوا له سبيل الاتصال بمن خلفهم من أهل المدينة .

وقد استجاب الرسول القائد لتفكيرهم السليم عملا بمبدأ الشورى ، الذى أقره الاسلام ودعا اليه .

الشورى فى تخير مكان المعركة :

تابع الرسول صلى الله عليه وسلم مسيرته وسار مع المسلمين الــى ماء بدر فلما جاءوا أدنى ماء منها نزل محمد به ، وكان الحباب بن المنذر بن الجموح عليما بالمكان فلما رأى حيث نزل النبى قال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخــر عنه ، أم هو الرأى

والحرب والمكيدة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ، بل هو الراى والحرب والمكيـــدة . فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب (٤) ثم نبنى عليـــه حوضا فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

ولم يلبث النبى الكريم حين رأى صواب ما أشار به الحباب أن قام ومن معه واتبع رأى صاحبه ، معلنا الى قومه انه بشر مثلهم وان الرأى شورى وانه لا يقطع برأى دونهم ، وانه فى حاجة الى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم .

من اسباب النصر فى بـــدر :

كانجيش المشركين ثلاثة أمثال جيش المسلمين وكان اكثر عدة وعددا ، ولكن شيئا آخر عظيما كان متوفرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من العدد والعدة ، أما هذا الشىء العظيم فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام ، فان التربية المحمدية سواء أكانت فى صورة العبادة أم تلقين عقيدة التوحيد ، أم ارجاع الأمر الى الله مع حسن العمل أم الايمـــان بالمساواة فى عمل الدنيا والآخرة ، أم ايثار الشهادة فى سبيل العقيدة على الحياة وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولى الأمر منهم .

ـــ ان هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هى قوة النظام التى رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين .

والثانى : القوة المعنوية التى ملأ بها الاسلام نفوسهم ، فانهم دون مشركى العرب كانوا يؤمنون بالبعث فهم لذلك لا يرون فى الموت فناء مطلقا ، بل يرون أن وراءه ـــ مع إدراك فضل الشهادة ـــ حياة أبقى وأسعد من هذه الحياة .

يرون أن روح الشهيد لا تذهب الى فناء بل تأوى الى قناديل من نـــور وتسبح حـــول العرش ، وتحيا فى حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من رحيقها المختوم مصداقا لقول الحق سبحانه « ولا تحسبن الذين فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هـــم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين »

ومن نماذج الشهداء ما روى أن شابا فى السادسة عشرة من عمره كان فى كتيبة المؤمنين فلما سمع الرسول يحرض المؤمنين على القتال ويعدهم الجنة قال اذن ليس بينى وبين الجنة الا هذه الثمرات ؟ وهى ثمرات كان يأكلها ، فقذفها ، وحمل بسيفه على المشركين فلم يـــزل يقاتل مستبسلا حتى لقى الموت الذى يريده وقد استشهد حارثة فى معركة بدر وسألت أم حارثة رسول الله قائلة يا رسول الله حارثة ابنى فى الجنة أم فى النار فان كان فى الجنة صبرت وان كان فى النار بكيت ما أسعفنى البكاء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله يا أم حارثة أنها جنان وليست جنة وان ابنك أصـــــــاب الفردوس الأعلى منها .

والثالث ـــ من أسباب النصر ـــ وحدة القيادة ، فقد كان المسلمـــون

ممتازين بها ، يتفانون فى الاخلاص والطاعة لقائدهم ، وذلك من الأمور التى ضاعفت قواهم .

ولنذكر لذلك ما حدث فى اثناء المعركة ، اذ راى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الصف رجلا خارجا عن رفاقه فى الصف ، فوكزه ، فقال الرجل: أوجعتنى يا رسول الله ، فأقدنى منك ، فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اقتص لنفسك ، فقبل الرجل بطن النبى ، فقال النبى : ولم اذن ؟ قال يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدى بالدنيا ان يمس جلدى جلدك .

تلك أهم الأسباب التى انتصر بها المؤمنون ، ولا تظنوا أن قريشا كانت خائرة فاقدة للنظام والقوة المعنوية ، فقد كان لديها أكمل نظام يعرفه العرب ، ولها من عزتها ، ومن حب المحافظة على سيطرتها العسكرية ، ومن الرغبة فى الانتقام ، ومن العزم على الاحتفاظ بحرية التجارة وسلامة الطرق الموصلة لهذه التجارة ، ما جعلها تقاتل مستبسلة ، حتى ان رجلا منها اقسم أن يرد حوضا وسط جيش المسلمين ، فلما قطعت رجله قبل أن يصل اليه دفع نفسه الى الحوض ، وهدم جزءا منه برجله الأخرى ، ولما جرح ابو جهل مر به رجل من المسلمين وهو فى حشرجة الموت ، فوضع قدمه على عنقه ، وقال أرأيت كيف أخزاك الله ؟ قال وبم أخزانى أعار أن أقتل ؟

من هذا تدركون عظم مهمة الجيش الاسلامى فى سبيل انتزاع السيطرة العسكرية التى كانت لقريش .

وترون أن نصر المسلمين فى بدر يمكن أن يسجل لهم بحروف من نور لأنه كان أعجوبة الأعاجيب وحدثا هاما من أحداث الحرب ودليلا عمليا على أن للنصر أسبابا معنوية لا تقل أهمية عن الأسباب المادية وتظل بدر فى جبين التاريخ غرة ناصعة ، وحدثا خالدا :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ولئن ذهبت بدر فانها لم تكن حادثا فريدا بل توالت بعدها الغزوات فى احد والخندق والحديبية وغزوة تبوك وفتح مكة وغزوة حنين والطائف .

وتوالى زحف المسلمين فى القادسية ونهاوند واليرموك ومصر .

وظلت روح الايمان تدفع المسلمين الى النصر فى تاريخهم المجيد فى معركة عمورية وفى معركة حطين وفى كفاح الجزائر وفى معركة بورسعيد .

وعند الله بدور أخرى وسيظل نصره يخفق على المؤمنين ما داموا أهلا لنصرته عاملين بشرعه ملتزمين بأمره مجتنبين لنواهيه وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

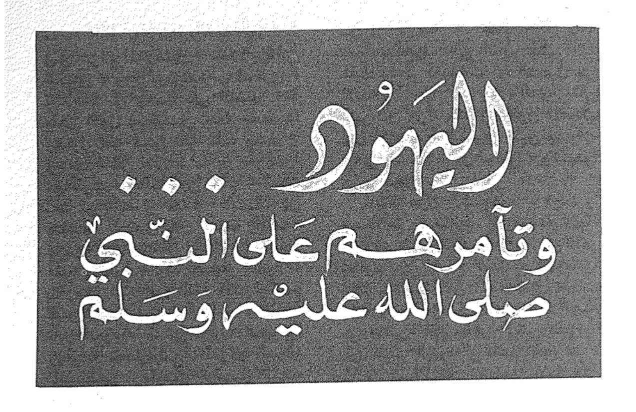
---

(١) أن يجعلها لكم من الانفال والغنائم فيغنم المسلمون هذه التجارة تعويضا عن الخسائر الفادحة التى لحقتهم بالهجرة فرارا بدينهم بعد أن تركوا أوطانهم ودورهم وأموالهم وتجارتهم فى مكة .

(٢) اللطيمة : المال والتجارة ..

(٣) هى قرية بين مكة والمدينة ، وهى الى المدينة أقرب . وكانت بها سوق تعقد كل سنة ثمانية أيام ، وقد شاهدتها عند أداء فريضة الحج فرأيت قرية بسيطة بها استراحة للمسافرين . فقلت هنا كانت الامجاد والشهداء والنصر المؤزر من السماء .

(٤) القلب جمع قليب ، وهو البئر ، يذكر ويؤنث . وتغويرها : كبسها بالتراب حتى ينضب ماؤها .



اليهود وتآمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم

— ٣ —

للدكتور محمود محمد زيادة

خيبر :

تقع خيبر فى شمال المدينة . على بعد مائة ميل منها ، وهى واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون مرتفعة مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة .

وكان اليهود الذين أجلاهم النبى عن المدينة نزل بعضهم فى خيبر والقرى المتصلة بها ، والداخلة فى نفوذها مثل وادى القرى ، وفدك وتيماء . بينما تابع بعضهم الآخر سيرهم الى الشام ، وكان ممن ذهب الى خيبر زعماء بنى النضير .

ومن هذا الموقع بدءوا يدبرون المكايد ، وطريقة الانتقام لأنفسهم وليهوديتهم . ظانين أن يد الرسول لن تصل اليهم .

وكان من أهم ما قاموا به تحريض قريش على الرسول وتحالفهم معهم ثم ذهابهم الى غطفان ، وتحالفهم معهم أيضا ، وجمع الأحزاب . ثم اقناعهم ليهود بنى قريظة بنقض عهدهم مع الرسول . وبذلك أحكموا الحلقات وضيقوا الحصار على المسلمين ، وكان زحفا خطيرا . كان من نتائجه أن زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، وبلغت القلوب الحناجر ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا رائعا وتم القضاء على بنى قريظة كما سبق منا القول بذلك .

وكان من المنتظر ان يقف نشاط اليهود ، وأن يكفوا عن التآمر ، وان يتعظوا بما حدث للقرظيين ، ولكنهم ما زالوا فى غيهم سادرين ، واستمروا فى نشاطهم وتحريضهم قبائل غطفان وغيرها على غزو المدينة

ومن هؤلاء المحرضين « سلام بن أبى الحقيق » و « أبو رافع بن الحقيق » وكلاهما من زعماء بنى النضير فقد جعل الأول لغطفـــان جعلا لحـــرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثانى لبنى سعد بن بكر تمرا من خيبر ، وعلم النبى بذلك ، فبعث بعثا من الأنصار بقيادة « عبد الله بن عتيـك » الذى كان يعرف اللغـة العبرية ، فاستطاعوا بذلك أن يدخلوا عليه ويقتلوه ، وقد تصايح اليهود ، وخرجوا اليهم فى ثلاثة آلاف ولكنهم أفلتوا منهم ، ووصلوا المدينة سالمين ، فأمر اليهود عليهم فى خيبر « أسير بن رزام » فصاريجمع الأحزاب لحرب المســلمين ، فأرسل الرسول اليــه « عبد الله بن رواحة » فى جماعــة فقتلوه هو ومن معه ، وكانوا ثلاثين شخصا .

وهكذا صـــار الرسول يرســل سراياه للتنكيل بالمتآمرين ، وفى عزمه أن يطهر شـــمال المدينة من هـــذا الرجس كما طهر نفس المدينة ، ولكن يظهر أنه أخر ذلك لأنه كان لا يزال فى حالة حرب مع مكة . فلما عقــد مع قريش صلح الحديبيـــة ، وأمن ظهره من الجنوب . زاد حنق اليهود ولجأوا الى سلاحهم الدنىء ، وهو سلاح الشائعات لبلبة الأفكار وإشاعة الأقاويل ضد الاسلام ، والمسلمين ، فما أن تناهى الى علمهم أن الرسول عقــد صلحــا مع قريش ــ صــلح الحديبية ــ حتى أثاروا شائعة وهى أن النبى والمسلمين كانوا ذاهبين لفتح مكة ، فلما لم يقدروا لضعفهم وقلتهم عقـــدوا صلحا ، ويظهـــر أن بعض القبائل العربية فى نجد صدقت هذه الشائعة فبـــداوا يستعدون للتحالف مع اليهود ، وكان علم ذلك يصل الى الرسول فيباغتهـــم ، ويمزقهـــم شر ممـــزق ، فتغيـــر الموقـــف ، لأن القبـــائل الكثيرة . التى كانت تقف موقف المتربص . تبـــدل موقفهـــا ، فأخذت تتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم بالتعاهد أو الدخول فى الاسلام . بل أخذ يفد وافدون على النبى من وراء مكة ويدخلون الاسلام مثل الأشاعرة اليمنيين الذين جاءوا ، وعلى رأسهم « أبو موسى » وشهدوا حرب خيبر .

حينئذ عزل اليهـــود ، وصاروا وحـــدهم ، فكانت الفرصـــة مهيأة لغزوهم فسار الرسول اليهم فى شهر المحرم من السنة السابعة للهجـــرة بألف وستمائة من المســلمين فيهـــم مائتان من الفرسان ، وان هذا الجمع فى مسيره الى تطهير أرض الجزيرة من عنصر اليهود أو تقليم أظفارهم . كانت عــلامات البشـــر بادية على وجوههم وصدرت أوامر رسول الله الى «عامر بن الأكوع» أن يتولى حداء القافلة ليشحذ همم القوم ويجـــدد نشاط الإبل . فصار عامر يحدو بهذه الأبيات :

واللـــه لولا الله ما اهتـــدينا
ولا تصـــدقنا ولا صـــلينا
فأنزلن ســـكينة علينـــا
وثبت الأقـــدام ان لاقينـــا
إنا اذا صـــيح بنـــا اتينـــا
وبالصـــياح عولوا علينـــا

وهكذا قطع المسلمون الطريق الى خيبر ، فلما تراءت لهم حصونها المنيعة الكثيرة أمر أصحابه بالوقوف . ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضـــين ، ومـــا اقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين . نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعـــوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . أقدموا باسم الله .

ولا غرابة أن يأمر الرسول أصحابه بالوقوف أمام خيبر ، ويدعـــو ربه الذى لا ملجأ له سواه ، فتلك عادته صلى الله عليه وسلم . لا سيما أمام حصون خيبر فالاستيلاء على حصونها

ليس بالأمر الهين ، فهى تقع فى منطقة صخرية وتربتها بركانية . خصبة بالنخيل والحبوب الغذائية ، وكان أهلها أعرف بشئون الحرب واقوى طوائف اليهود بأسا واكثرها سلاحا ، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون . لكنهم ككل اليهود يغلب عليهم الجبن ، ولا يحاربون الا امام حصونهم لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر .

وكان الرسول يعرف فيهم هذه الطبيعة ، فأعد للأمر عدته ، فكان وصول المسلمين الى خيبر ليلا ، فلما كان الصباح فوجىء يهودها برسول الله يقول : الله اكبر خربت خيبر . إنا اذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين . وردد أصحابه التكبير ، فدوى صوتهم فى الفضاء وتردد صداه ، فملأ الجو فزعا ورعبا . استيقظ أهل خيبر على هذا الصوت فزعين ، فأسقط فى أيديهم واعتصموا بحصونهم الكثيرة التى منها ناعم ، والصعب ، والزبير ، والنطاة ، والقموص ، والوطيح ، والسلالم ، وظنوا أنها مانعتهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب .

ولما كان الرسول يعرف مقدار حب اليهود للمال . هددهم بإتلاف مالهم ، فأمر أصحابه بقطع نخيلهم عسى أن يحملهم ذلك على التسليم ، فلما لم يسلموا أمر بالكف عن قطع النخيل ، وبدأ فى مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنا حصنا . فالطرف اليهودى فى كثرة من عدد وعدة وعتاد ، ومناعة موقف ، والمسلمون فى استبسال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف . اليهود يخرجون للقتال فى النهار ، ويلجأون للحصن الذى عليه القتال بالليل . فيسقط حصن ناعم ، ومن بعده حصن القموص . ثم حصن الصعب ، ثم حصن الزبير. ثم حصن النطاة الذى قتل فيه إخوة ثلاثة من اليهود هم مرحب، والحارث، وياسر، ثم جاء دور الوطيح والسلالم ، وكان كلما ظهر زعيم معتد بنفسه دحر أمام قوات المسلمين ، وثباتهم ، وقد أبدى على بن أبى طالب فى هذه الغزوة شجاعة نادرة ولعبت الفدائية الاسلامية دورها فى نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نماذج للبذل والتضحية . كى يتخلصوا من كل آلامهم وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم ، ونجحوا فى ذلك نجاحا رائعا بعد أن استمر القتال سبعة أيام ، وبلغ عدد الشهداء من الجيش الاسلامى خمسة عشر شهيدا ، وقد هلك من اليهود نحو ثلاث وتسعين .

وبعد أن قتل هذا العدد الكبير منهم ، وسقطت حصونهم ، استسلموا وطلبوا الصلح فدارت المفاوضات بين الفريقين . انتهت بالشروط التى منها :

١ — أن يحقن الرسول دماءهم ، ويترك أسراهم .
٢ — ضرورة الجلاء اليهودى عن خيبر بكل أراضيها ، وأن لا يأخذ أحد منهم أكثر من ثوب واحد .

ولكنهم توسلوا الى رسول الله ، أن يسمح لهم بالبقاء فى بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف محصولها ، وللمسلمين النصف الآخر ، وقالوا له : نحن أعلم بها منكم وأعمر لها : فصالحهم الرسول على المناصفة وشرط عليهم انه اذا شاء أخرجهم .

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهم لدوافع منها :

أولا : انه بسقوط خيبر . أمن بأن اليهود لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك .

ثانيا : لأن الأرض الزراعية التى آلت اليهم من خيبر بحدائقها

وزروعها ونخيلها كانت تحتاج الى الأيدي العاملة ، ولا يوجد في المدينة من الأنصار من يستطيع القيام بحاجة أرض خيبر الى جوار بساتينهم في المدينة .

ثالثا : كان النبى في أشد الحاجة الى جيوشه التى تعمل معه في ميدان الحرب ، فمن الحكمة أن يترك هؤلاء اليهود للعمل في الزراعة تحت بصر المسلمين ورعايتهم . بعد تقليم أظفارهم بالقضاء على زعمائهم في ميدان الحرب وقتل كل خطر بعد انتهاء الحرب مثل كنانة بن الربيع ابن أبى الحقيق الذى كان من رؤوس المحرضين على غزوة الأحزاب ، وكان قتله قصاصا لقتله أخا لمحمد بن مسلمة ، وكذلك قتل أخوه الربيع . الذى شاركه في التحريض .

وبعد أن أمن يهود خيبر وقسم غنائمها ترك « عبد الله بن رواحة » ليتولى خرص ثمارها وتقسيمها بالعدل .

وبهذه النهاية . قضى على نفوذ يهود خيبر ، وأطماعهم وآمالهم في السيطرة والتوسع (**فدك . وادى القرى . تيماء**) سقوط خيبر ألقى في قلوب يهود فدك الفزع والرعب ، فلما أرسل اليهم النبى يطلب منهم أن يسلموا أو يسلموا أعلنوا رغبتهم في الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، فكانت خيبر للمسلمين الذين قاتلوا عليها ، وكانت فدك نصيب رسول الله خالصة له لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وفى عودة رسول الله الى المدينة بعد هذا النصر على اليهود في خيبر وفدك . مر بوادى القرى فوجد أهلها من اليهود قد تجهزوا لقتاله فنازلهم حتى أذعنوا للصلح على ما اصطلحت عليه خيبر ، وأقام عليهم عاملا هو « عمرو بن سعيد بن العاص » .

ولما بلغ أهل تيماء فتح وادى القرى ، صالحوا النبى على الجزية وأقاموا ببلدهم وأرضهم في أيديهم .

وبسقوط تيماء دانت كل العناصر اليهودية في شبه الجزيرة العربية لسلطان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان فيها وأصبح رسول الله في مأمن من ناحية الشمال الى الشام . كما أصبح في مأمن من الجنوب . بعد صلح الحديبية .

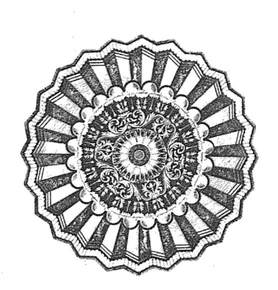
وبهذا العمل الجليل رفض المسلمون الوجود اليهودى القائم على السيطرة والاستغلال ، والتوسع بأسلوب التآمر والدس والخديعة والوشاية والخلق اليهودى الدنىء الذى لا يبالى بالقيم الخلقية ، ولا يعترف بالقوانين ولا التقاليد ، ولا العهود والمواثيق . فمع أن الرسول منحهم فرصة الحياة في الواحات الشمالية الا أن طبعهم الدنىء ، وحقدهم الدفين دفعهم على الرغم من تشتتهم أن يتربصوا بالمسلمين الدوائر للأخذ بالثأر منهم فصاروا يعملون في الخفاء . غريزة الجبناء الأنذال ، فلم يقدروا على شىء ، فلما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ظنوا أن قوة المسلمين ستنهار فكانت لهم مواقف عدائية ، فساعدوا « طليحة بن خويلد » الأسدى المتنبىء وساعدوا « الأسود العنسى » وكانت هذه المساعدات في الخفاء ، ولكن الله قيض للاسلام رجل الساعة وهو خليفة رسول الله الأول « أبو بكر الصديق » ففوت على اليهود أغراضهم وخيب ظنهم .

ثم جاء بعده الخليفة الثانى « عمر ابن الخطاب » فتابع رسالة أبى بكر في الفتوح وتأمين الدعوة ،

واستقرار الدولة على أساس قوى من العــدل والمساواة والحـرية ، ومبادىء الاسلام القوية الصادقة .

ورأى ان الجزيرة العربية ، وهى منطلق الدعوة ، ومركز الاشعاع يجب أن تكون خالية من كل عوامل الفتنة ، وقد عرف أن اليهــود هم دعاتهــا ، والباعثون لها فى كل مكان فطهرهــا منهم ، وكان أكثرهم فى خيبر ومــا جاورها . لأنه قد بلغه أن النبى قال عند موته : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان : فلما ثبت عنده هــذا الخبر ارسل اليهم . ان الله قد أذن فى جلائكم لأنه قد بلغنى أن النبى قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ! فمن كان عنده عهد من رســول الله من اليهود فليأتنى به أنفذه له ، ومن لــم يكن عنده عهد فليتجهز لجلاء ، فأجلى من لم يكن عنده عهد . خصوصا أنهم قد بدءوا يتحرشون بالمسلمين عندما كانوا يذهبون الى خيبر لتفقد أملاكهم التى غنموها منهم . كما فعلوا مع عبد الله بن عمر فإنهم أصابوا يديــه بسوء . كما أنه استند على شرط فى عهد رسول الله إليهم ، وهو . أن له اخراجهم عندما يشاء .

وبهذا طهرت الجزيرة العربية من دنسهم ، ولم يجدوا لهم مستقرا الا خارج حدودها فى أطراف بلاد الشام ولكن لم تنته مؤامراتهم ضد الاســلام والمسلمين ، فما زالوا يكيدون للاسلام والمسلمين بصور شتى . تحتاج الى كتب كثيرة لو تتبعنا تاريــخ هــؤلاء الأنجــاس ، وآخــرها الحــركة الصهيونية التى استطاعت بمساعدة الاستعمار أن تجعــل لها كيانا فى فلســطين ، وان شــئت فقل ان الاستعمار وضع اليهود شوكة فــى جنب العرب ، وجعلهم جسرا له ، ولكــن قد قربت نهــاية الاستعمار وربيبته اسرائيل فقد صمم الشــعب العربى على أن يستعيد حقوقه ويطهر أرضــه ومقدساته ، ويقضــى على الدخلاء قضاء نهائيا ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وإنه لقــريب (ولينصرن الله من ينصره . ان الله لقوى عزيز) .





أثر رمضان في

للاستاذ : على القساضى

أمتنا العربية فى طريق نهضتها الكبرى ، وهى لذلك تعمل على تعبئة القوى لتسير في طريقها بكل قوة وكل أمة ناهضة تعمد الى تعبئة الطاقات المختلفة فيها لاستثمار منابع القوى الكامنة فى البلاد اذ عليها أساس نهوضها وبناء مجدها وترقية مستوى المعيشة فيها ، كما أنها تستطيع بذلك أن تنشىء مصانعها ومعاملها وأن تبرز الى الميدان الخارجي في كل ناحية من نواحيها فتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم من الناحية الادبية ومن الناحية المادية على السواء ..

والطاقة الحقيقية الاساسية هى الطاقة الانسانية ، وهى القدرة الانسانية على العمل والانتاج والتعاون بقدر ما لديهم من جهد على الاشتراك الايجابى فى بلوغ الأهداف التى ترمى اليها البلاد .

وقد حرص المستعمر دائما على تبديد هذه الطاقات الهائلة بكل ما أوتى من قوة فهو آنا ينشر الفساد والانحلال وآنا آخر ينشر المكيفات ومرة ثالثة يستبعد ويستعبد ويسجن ويعذب .. وهكذا يعمل جاهدا على تبديد هذه الطاقات الضخمة حتى يستطيع أن يسير فى الطريق الذى يريد .

التعبئة العامة :

والأمة التى تريد أن تنهض وأن تسير الى الأمام بخطوات واسعة تعمد الى التعبئة العامة ووسيلتها فى ذلك :

التعبئة العامة للأمة

١ ـــ ان تقوى صلة الفرد بالله بحيث يراقبه فى كل خطوة .
٢ ـــ وأن تبصره بحقوقه وواجباته .
٣ ـــ وأن تغرس المسئولية الاجتماعية فى نفسه .
٤ ـــ أن تشجع الكفايات وتكتلها وتبث روح التنافس المنتج بينها .
٥ ـــ أن تراعى مبدأ تكافؤ الفرص .
٦ ـــ أن تهتم بالتوجيه المهنى والتوجيه التعليمى .
٧ ـــ أن تحيط الطاقة الانسانية بالعناية وتصرفها فى مجالاتها المفيدة حتى لا تبدد فى مسالك عقيمة أو غير مشروعة .

اصناف الناس :

الناس كما نشاهد فى حياتنا العامة أصناف شتى منهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج ولكنهم لا يرغبون فى ذلك ، ومنهم من يرغب فى العمل والانتاج ولكنهم سلبيون لا ينفذون ما يرغبون فيه ، ومنهم من يرغب فى التنفيذ ولكنهم لا يستطيعون التعاون مع غيرهم ، ومنهم من يسرف فى تبديد ما لديهم من طاقة فيما لا يعود عليهم أو على غيرهم بالنفع ، ومنهم من لا تعوزهم القدرة على العمل والانتاج وهم يستغلون هذه الناحية بقدرة وكفاءة ولكنهم قليلون ، **هل هذا طبيعى .. ؟**

نعم وهذا طبيعى ، ذلك لأن النفس ميدان تتصارع فيه الميول المختلفة والدوافع المتنافرة .. واذا لم تستطع الأمة أن توجه هذه النفس وان تحولها الى الانتاج فانها تخسر كثيرا .. ومن هنا فاننا نجد علماء النفس يوصون بأنه ينبغى أن تأتى تعبئة الأمة من داخل النفس وذلك بمعرفة المنابع التى تحرك النـــاس وتحفزهم الى بذل الجهود وتسير بهم فى الطريق السليم الذى يوصلهم الى الانتـــاج والنجاح والى المتعة بهذا النجاح وأيضا بمعرفة الموانع التى تعطل الناس وتصدهم عن البذل والتعاون فتعمل على ازالة هذه الموانع العائقة وتجعل الطريق أمامهم ممهدا ميسورا .

معنى التعبئـــة :

التعبئـــــة تنظيم نفسى داخلى يوفق بين الدوافع والنزعات المختلفة يقابله تنظيم اجتماعى خارجى يوفق بين الجهود المختلفة مع تحصين الناس والحيلولة دون أن تضيع طاقاتهم هباء منثورا .

وفى كل أمة طاقات مدخرة ويمكن استغلالها على أكمل الوجوه وأفضلها اذا راعينا ما يأتى :

صون هذه الطاقة والمحافظة عليها حتى لا تضيع :

ولكن ما الاشياء التى تبدد هذه الطاقة .. ؟

الواقع أن العامل الرئيسى الذى يقوم بتبديد هذه الطاقة هو الصراعات التى تقوم فى داخل نفس الانسان بين حقوقه وواجباته ، بين غرائزه ومبادئه ، بين ما تشتهيه نفســه وما يرتضـــيه المجتمع الذى يعيش فيه .. هذه الصراعات هى بمثابة حروب صغيرة أهلية تستنفذ طاقات الفرد ولا تترك له ما يستطيع به أن يؤدى واجبــه نحو نفسه ونحو أمته ، وهذه المشكلات هى فى حقيقة الأمر صـــدى لما يقوم فى المجتمع الخارجى لأن النفس مرآة لما يدور فى المجتمع .. ولكل مجتمع مشكلاته الخاصة ، وهذه المشكلات تشتد فى مراحل الانتقال حيث يوجد الصراع بين القديم والجديد .. بشكل يختلف فى عنفه من مجتمع الى آخر .. هذا الى أن المدنية الحاضرة التى نعيش فيها قد زادت الصراع بين الناس من أجل لقمة العيش ، ثم ان الفرد فى ظل هذه المدنية قد زادت مطالبه زيادة كبيرة ، وهذه الزيادة تفوق طاقة المجتمع على ارضائها ، ولا تجد لها رصـــيدا روحيا يمكن أن يحدث التوازن فى النفس أو يبعث الرضا فى القلب

ومن هنـــا زاد القلق فى النفوس وظهر بين الناس الانطــواء والعدوان . وكل هذا له اثر عميق فى ميدان الانتاج بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع كما أن له آثارا خطيرة فى صحة الناس الخلقية حيث ينعدم التعاون بين الناس ويقل الانتاج وتكثر المشكلات ولهــذا يحاول كثير من الناس أن يهربوا من الواقع بالمخــدرات أو غيرها ولهذا تكثر المشكلات الاجتماعية كالقتل والطلاق والانانية والخداع .

والناحية الثانية التى يمكن بها استغلال طاقة الأمة المدخرة هى استثارة هذه الطاقة وانماؤها وتنظيمها بجميع نواحيها الجسمية والفــكرية والخلقية والاجتمـــاعية ، وسأبين كل ناحية من هذه النواحى ..

الناحية الجسمية :

الجسم الضعيف لا يمكن صاحبه مْن العمل وقد يكون سببا مباشرا فى البعد به عن الكفاح المطلوب فيهرب به من العمل اخفاء لضعفه الجسمى ، والحيوية الجسمية من طبيعتهـــا أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق ، وهى بعد هذا كله سبيل الى الرجولة الذهنية واليقظة الفكرية ولا زلنا نسمع الحكمة القائلة (العقل السليم فى الجسم السليم) .

الناحية الفكرية :

الانسان السوى يفكر ويحكم على الأمور بنفسه .. حقيقة انه يستمع الى آراء غيره ويســـتشير من يثق فيهم ولـــكنه هو الذى يمحص الآراء ويرجح الراى الـــذى تسانده الحجة .

الناحية الخلقية :

من طبيعة كل واحد أن يحب نفسه ، ولكن الأنانية الفردية يجب أن تحد ، والتواكل أيضا يجب أن يحد ، وينبغى أن توجه الجهود لصالح الجماعة ، والتربية السليمة تعنى بأن تكتسب الفضـــائل الانسانية عن طريق ممارستها بالنشاط الذاتى والخبرة الشخصية ، ويستدعى هذا الحرية والتوجيه .

الناحية الاجتماعية :

الانسان الصالح هو الذى يشعر بالروابط التى تربطه بغيره من الناس كما يشعر بالواجب الملقى على عاتقه نحو نفسه ونحو بلد ه ومهنته .. والناحية الاجتماعية فى حالتها القوية تجعل صاحبها يسيطر عليه هذا الشعور فيعمل فى جد ونشاط وحيوية لصالح الجماعة ناسيا مصلحته الخاصة بعيدا عن المسائل الفردية .. ويعمل فى فهم وتعاون واحتمال ..

يقول رجال التربية : وينبغى أن نعنى بالتربية الوقائية والتربية الانشائية .. وينبغى أن تشمل التربية تربية الآباء والمدرسين والمفكرين والمشرعين ، كما ينبغى أن نعنى بتربية الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة والمتأخرة وبالشباب والرجال والنقابات التى تتيح للرجل أن يعبر عن نفسه بالقول وبالفعل . ولكن كيف نربى ومن الذى يربى ، وعلى أى أساس يربى .. ؟

ويأتى رمضان المعظم فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ليجيبنا على هذه الاسئلة التى تشغل بالنا :

الصوم فى حقيقته عملية تعبئة عامة للأمة الاسلامية لتجنيد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة حتى اذا ما احتيج اليهم فى يوم من الأيام بسبب الحرب الباردة أو الساخنة كانوا مستعدين استعدادا نفسيا واستعدادا جسميا .. ثم أن الصوم تدريب لهم على الصراع الاكبر صراع الحياة الدائم الذى يقابله كل نسان فى هذه الحياة وهذه التعبئة ليست تعبئة روحية فقط ولا جسمية فقط هذه الحياة ، وهذه التعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..
ولا عقلية ولكنها تعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

وقد اختار الاسلام التدريب بطرق كثيرة من أهمها الصوم وهو تدريب على كل شىء فى الحياة لفترة من الوقت حتى يتعود على تحمل الامتناع الاجبارى عن شهواته وضروراته حين تحكم بذلك ظروف الحياة .

ان الطفل المدلل الذى تجاب رغباته كلها فى الحياة ينشأ شابا رخوا لينا لا يستطيع أن يقف على قدميه بل ان الرياح لتتقاذفه من كل جانب . ثم هو فى العادة الذى يصاب بالامراض وبالعقد النفسية وبصدمات الحياة .

اننا ندرب فى جيشنا العربى فرقا خاصة .. ذلك التدريب الذى يحدث آثاره القومية فى كل معركة نخوضها ، ولم يكن من المصادفة أن يفرض صوم رمضان فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد نفسى

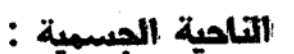
وجسمى وعقلى لهو جندى حكم عليه بالفناء العاجل .. وان الشاب الذى يوضع لمقابلة صعوبات الحياة بدون اعداد لهو شاب فاشل فى ميدان الحياة . ومن هنا فرض الصـــــوم كما فرض غيره من العبادات التى تهدف الى هذه النـــاحية لفائدة الفرد وفائدة الأمة كلها ..

ورمضان بما له من قوة فى التربية يؤثر فى الانسان من جميع النواحى الروحية والجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية .

الناحية الروحية :

يهدف الاسلام فى كل خطوة من خطواته الى ايجاد الصـــلة القوية بين الله وعباده الصلة الدائمة التى تدفع القلب الى الرجوع فى كل لحظة الى الله تعالى .. والصوم ـــ كغيره من العبادات ـــ يعطى المسلم شحنة قوية روحية .. شحنة تدفعه الى العمل .. وما دام المسلم يهدف فى صلته الى الله فان فى ذلك الخير للناس جميعا لأن الله لا يقبل الا طيبا ، ولأن الله سبحانه وتعالى يطلب العدالة المطلقة بين عباده ويحب الخير للناس جميعا وعبده يتقرب بهذا كله اليه .. وصيام رمضان يعطى المســـلم شحنة قوية فى الصلة بينه وبين الله تعالى يقول الله تعالى « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصـــيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فالهدف هو التقوى . تقوى الله عز وجل . والتقوى هى مراقبة الله فى كل الأمـــور . هى السير على النهج الذى أراده اللـــــه سبحانه وتعالى فلا غش ولا كذب ولا خداع بل محبة وتعاون وبناء . ويوضح الرسول الكريم بعض الامراض التى تنخر عظام الأمة فيقول « من لم يدع قول الزور والعمـــل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى هذا أن المقصود بالصيام أسمى من أن يكون تركا للطعام والشراب .. ويؤكد هذا الحديث الشريف « رب صائم ليس له من صـــيامه الا الجوع والعطش » ومعنى هذا أن الصائم الذى لا يصوم كما ينبغى ليس له ثواب الصوم ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر فيقول « ليس الصيام من الأكل والشرب انما الصيام من اللغو والرفث » .

ويتدرج النبى الكريم فى هذه الناحية فيقول « خمس يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » .. ولما كان الصوم عبادة لا رياء فيها فان الله سبحانه وتعـــالى يجزى الصائم بلا حساب يقول الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .



الناحية الجسمية :

وللصوم اثر كبير فى الصحة الجسمية فانه ينفى الاخلاط الضارة التى تراكمت على مر الاعوام ، ويشفى أمراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرض ، ولكن الامتلاء المستمر يعرضه للأمراض المختلفة ، ولذلك فان الأطباء كثيرا ما يصفون الصوم للمرضى حتى يكون له الأثر الطيب فى صحتهم .

الناحية الفكرية :

والصوم يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان اقدر على الفهم والادراك ، ولذلك فان العلماء القدامى كانوا يستفيدون من رمضان فى تأليفهم وكتاباتهم . وكان انتاجهم فى هذا الشهر مضاعفا ولئن كنا على غير ذلك فان السبب هو أننا لا نسير فى رمضان على النهج الاسلامى الذى يفيد فى ناحية من النواحى .. بل اننا نتبع طريقة ترهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا .. طريقة هى الى المظهر اقرب وما احوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان الفائدة الكاملة .

الناحية الخلقية :

ورمضان يعطى المسلم فرصة ذهبية ليحرر نفسه من سلطان العادة سواء أكانت فى الطعام أو الشراب أو فى سلوك الانسان فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار وفى أى مكان .. يحرر نفسه بالمران وبالعزم الصادق ، وبهذا يفطم الانسان نفسه من أهوائها .. ولئن كان الكثير منا لا يستفيدون من رمضان هذه الفائدة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع أمر الطبيب .

ورمضان يعلم الانسان الصبر فان الصوم نصف الصبر والصائم يكبح جماح نفسه حتى لو سابه أحد أو شاتمه فان المطلوب منه أن يقول له انى صائم ، والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. والذى يغضب فى رمضان لأتفه الاسباب هو الذى لم يفهم معنى الصوم ولم يتأثر به .

وفى رمضان تقوى مراقبة الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن

وبصلاة القيام ، والصائم يجد الجزاء القريب فى اللفتة القرآنية التى تأتى بين آيتى الصوم وهى قوله تعالى « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » فهى لفتة موجهــة الى اعماق النفس اذ يجد الصائم العوض الكامل عن مشقة الصــوم والجزاء على الاستجابة فيها لله وهذا الجزاء تصوره الفاظ رقيقة فيها رقة هائلة « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » أنه الجزاء الاوفى على الاستجابة والتعويض الــكامل على طاعة الله . انه الخيط الذى يجذب الأرواح الى الطاعة فى يسر وسهولة وطواعية .

وبهذا يكون المسلم مسلما كاملا فلا أنانية ولا حقد ولا غل بل حب وتعاون وعمل للمصلحة العامة واحساس بالقرب من الله تعالى وهكذا يمكن أن يؤدى صوم رمضان الى استغلال طاقات المســلم كلها الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

واذا كانت هذه هى فوائد الصوم بالنسبة للفــرد ، فان له فوائد أخرى بالنسبة للمجتمع ومن طبيعة الاسلام أن يعنى بالانسان ككل فهو يعنى به من ناحيته الفردية كما يعنى به من ناحيته الاجتماعية عضوا فى مجتمع .

فالمسلم يحس بالمســـاواة التامة بينه وبين جميع اخوانه المسلمين لأنهم يصومون فى وقت واحد ويفطرون فى وقت واحد الغنى والفقير ، الرجل والمرأة الكل سواسية فى الصوم ، وفى هذا كثير من الراحة النفسية بالنسبة للمسلم .

ورمضان يعطى الفرصة الكاملة للتعطف بين الأغنياء والفقراء لأن الغنى يحس باحساس الفقير فيعطف عليه .

والاسلام حث على هذا التعاطف فى كل وقت ولكنه حث عليه فى رمضان أكثر ، والتاريخ يحدثنا بأن النبى عليه الصلاة والسلام كان أجود من ريح المسك وكان أجود ما يكون فى رمضان .. وجعــل الاسلام من تمام الصيام صدقة الفطر .

وهكذا يأتى رمضان ليجمع هذه الطاقات كلها ويوجهها الى الخير .. انه يجعل المسلمين يحسون بأن القوة الالهية تسندهم فتفتح أمامهم الآمال ويثقون فى أنفسهم وفى الله الذى ينــاديهم « ولا تيأسوا من روح الله » . ويؤدون واجبهم وينتصرون على عدوهم ويضربون المثل الانسانية لهذا العالم الحائر الذى يبحث عن منقذ ولن يجده الا فى المسلمين الذين يتمسكون بدينهم .



وأما بنعمة ربك فحدث
ألم نشرح لك صدرك

للاستاذ أحمد التاجى

نزلت آيات الانشراح عقب آيات الضحى . فكان شرح الصدر بيانا للنعمة التى أمر بها الرسول أن يحدث بها نفسه دائما . لا ليحدث بها الناس ولكن ليذكرها دائما ويقرنها بالشكر لربه .

وبعض العلماء يجعلون من السورتين سورة واحدة (١) خوطب بها النبى (صلى الله عليه وسلم) وفيها عدد الله نعمه على عبده . وكانت أشهر نعمه عليه أن شرح له صدره .

ونرى أن فى هذا اشارة الى عملية الخلق التى أجراها فى قلبه حتى يصبح انسانا مهيأ للنبوة من صغره ، لا تنصرف نفسه الى نوازع البشرية .

ثم كرر العملية عليه حين تلقى الوحى : فخلق قلبه خلقا جديدا ، ليتحمل الأمانة التى عجزت عنها السموات والارض والجبال .

فشرح الصدر عملية تشريح وتشقيق وخلق شىء جديد (٢) .

★ ★ ★ ★

وقد جاء فى السيرة اشارات لحادثة شق الصدر حين كان النبى صلى الله عليه وسلم طفلا يسترضع فى بنى سعد . قوم حليمة .

وكان هذا الخبر وأمثاله غريبا على الناس الذين يحكمون عقولهم وحدها فى نواميس الكون ويقولون : كيف يشق القلب ثم تخرج علقة من داخله ثم يخاط ويعود سليما فى لحظات ويبقى صاحبه حيا بعد ذلك كله ؟ !

اذ كان منطق العلم يومئذ يقول : ان القلب هو العضو الذى لا تجرى فيه عمليات كما تجرى فى سائر الأعضاء ، والا تعطل وفارق صاحبه الحياة .

ونسى هؤلاء ان ما لا يستطيع الناس صنعه ، يصنعه الله بقدرته . وقد صنع الله الكثير من هذا للأنبياء ، وذكر قصصهم لنا فى القرآن .

فصنع لموسى وهو غلام صنعا ، حين أوحى الى أمه أن تلقى به فى البحر ، وتكفل الله بسلامته . ولولا قدرته تعالى لابتلعه اليم فى لحظة !

وجعل الله النار لابراهيم بردا وسلاما ، فسلبها خاصة الإحراق ، ومنحها نقيض طبيعتها !

وجعل الله من بطن الحوت مسكنا ليونس ، يتسع لصلاته وتسبيحه . ولو شاء لاتخذه طعاما !

فلولا أن قص الله علينا ذلك فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل ، لتنازعت عقول الناس فى تلك القصص ، والحقها قوم بالأساطير ، لأنها تفوق حوادث شق الصدر غرابة !

وهل نستطيع أن نجعل العقل ميزانا نزن به قدرات الله (سبحانه) كما نزن به قدرات البشر ؟ ان العقل الانسانى جهاز خلقه الله للانسان كمصباح يضىء بقدرة محدودة ، ليساعده على العيش فى أرضه التى خلقها له ، ويحيا حياته المحدودة التى قضاها عليه . ويستمد هذا الجهاز قدرته المحدودة من حواس محدودة كذلك . فالعين مثلا قد تبصر ميلا ولا تستطيع أن تبصر ما وراء ذلك .

واذا حجبها حجاب من جدار أو غيره فلا تستطيع أن تخترق الحجاب ، وتبصر شبرا واحدا وراءه . وكذلك السمع ، والشم ، واللمس . تحس ولكنها ذوات قدرات محدودة .

والعقل يتلقى اشارات هذه الحواس ، ويختزنها ويرتب نتائج محدودة أيضا عليها . ولا يستطيع المحدود أن يدرك ما فوق المحدود . فلا يدرك شيئا من الغيب ، أو ما حجب عنا من أرض وسماء .

وحين يكشف الانسان بعض المجاهل المحدودة بعقله وحواسه يرى قدرة الله اكبر من قدرته . فكلما ازداد الانسان علما ومعرفة شعر بضآلة نفسه ، وعظمة ربه ، وخشيته اكثر من غيره من العباد : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وعرف انه الحق ؛ ولا حق غيره .

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق» (٤) .

★ ★ ★ ★

فلقد ظل الناس قرونا حيارى يتجادلون فى حادثة شق الصدر ،

فمنهم من صدقها وهم الذين يعلـون قدرة الله ، ويرونها فوق كل شيء ، ومنهم من أنكرها وهؤلاء العلميـون الماديون . اعتمادا على مـا درسوه من علوم الدنيا ، التى تقوم علــى الظن ، ولا تتخطى ظاهر الكون .

« وان الظن لا يغنى من الحـق شيئا . » (٥) .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمـون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » (٦) .

★ ★ ★ ★

وتقدمت المعارف البشرية نوعا ما . وجاء فى عصرنا هذا من استطاع ان يشق القلب ويجرى به العمليـات الجراحية ، ويستبدل به آخـر حين يريد ، بشريا أو حيوانيا او صناعيا . ونجحت تلك الجراحات حينـا ، واخطأت احيانا !

فأخرس ذلك السنة المتعالمين الذين انكروا هذا العمل مـن قبـل ، واستبعدوها على محمد رسول الله الذى يهيئه ربه لاعظم رسالاته .

★ ★ ★ ★

كما أستبعد هؤلاء وأمثالهم حـديث الاسراء ، وأن يكون النبى قد أسرى به بجسده وروحه وعرج بـه الـى السموات العلى بجسده وروحه . وتعللوا بجاذبية الارض التـى لا ينفذ منها الانسان أبدا ، ثم بجـو السماء الذى يخنق المتعالى فيه شيئا فشيئا .

تعللوا بهذا وأمثاله حتى جاء عصر الفضاء ، ورأينا الانسان يذلل هـذه العقبات ، ثم يسبح فى الفضـاء ، ويسير على صفحة القمر ، ويستعـد للسفر الى الكواكب الأخرى .

وخرست السنة المتشدقين مـرة أخرى ، وبدءوا يعيدون النظر فيمـا انكروه من معجزات الانبياء . ويفرقون بين قدرة الانسان ، وقدرة الخـالق الذى يقول للشيء : كن فيكون .

★ ★ ★ ★

وقد ضرب الله مثلا لقصة العقل البشرى المحدود بظواهر هذا الكون ، ولا يدرك ما وراءه ، وقصـة العقل الموهوب بالمعرفة من الله ، المنطلق عن ظواهر هذا الكون ، الذى لا يتقيد بقيوده ولا يخضع لاسبابـه ــ حين قص حديث موسى وصاحبـه فى سورة الكهف . حين اصطحبا ومـرا بالسفينة والغلام والبنيان . وكـان موسى يرمز للعقل البشرى ، وكـان صاحبه قد أوتى من لدن ربه علما . فهو يمثل القدرة الالهية التى تتخطى نواميس هذا الكون . ولم يستطـع العقل البشرى أن يصبر علـى مالا يحيط به علما ، فتعجل الجـدل ، واعترض على كل صنع صنعـه العقل الموهوب ، وعـرف أنه لا يستطيع أن يسايره ، واعطى العـذر لصاحبه أن يفارقه . ولكنه سأله أن يفسر له سر ما صنع .

فانطلق العقل الموهوب يشرح لـه أسرار أفعاله ، وختمها بقولـه : وما صنعته عن أمرى ، أى هكذا صنـع الله . وهكذا شاءت قدرتـه . أن يتخطى الاسباب الظاهرة الى أسباب خفية لا يعرفها البشر .

فأسرار الكون لا يحل مغاليقها الا صاحبها الذى خلقها :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هـو ، ويعـلم ما فى البـر والبحر . . » (٧)

« ومـــا أوتيتـــم من العـــــلم الا قليلا » . (٨) .

لهذا كان الايمان بالغيب ، وما لا تحيط به عقولنا القاصرة ضرورة . وبهذا جاءت رسالات الانبياء .

★ ★ ★ ★

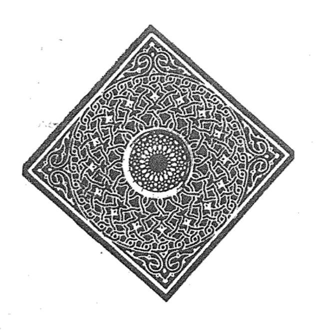
وقد ذكرت في مقال آخر ان قـــلب الرسول صلى الله عليه وسلم كـــان الموضع الذى أجريت فيه عمليـــات الخلق الجديد حين نزل عليه : اقرأ باسم ربك الذى خلق .

وحين أراد أن يسرى به فى ملكوتـه صار النبى يرى ويسمع بفؤاده ما يجرى فى المـــلأ الأعلى قال تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى » (٩) .

فلم تكن عينه التى تـــــرى . ولا سمعه الذى يسمع . لان ما وراء هذا العالم لا تدركه الحواس التى خـــلقت للارض وحدها . فكان من الضرورى أن يرى ويسمع بقلبه ، وان تنطبع فى نفسه تلك الصور . فيدركها بفؤاده اللطيف ، الذى لا يكذبه أبدا .

وعملية خلق القلب ذلك الخـــلق الجديد ، حتى يحيط بما لم يحط بـــه الناس ، ويمضى على الفطرة السليمة حتى لا ينحرف كما ينحرف سائر البشر ويدرك من أسرار الكون ما لا يدركون ــ تلك هى النعمة الكبرى ، التـــى أنعم الله به على رسوله ، وذكره بها فى قوله تعالى :

« وأما بنعمة ربك فحدث . ألـــم نشرح لك صدرك ؟ ! »



---

(١) روى ذلك عن طاوس . وعمر بن عبـــد العزيز : تفسير النيسابورى .

(٢) فى القاموس المحيـــط . شرح ، وشرح بتضعيف الراء بمعنى واحد .

(٣) فاطـــر : ٢٨

(٤) فصلت : ٥٣

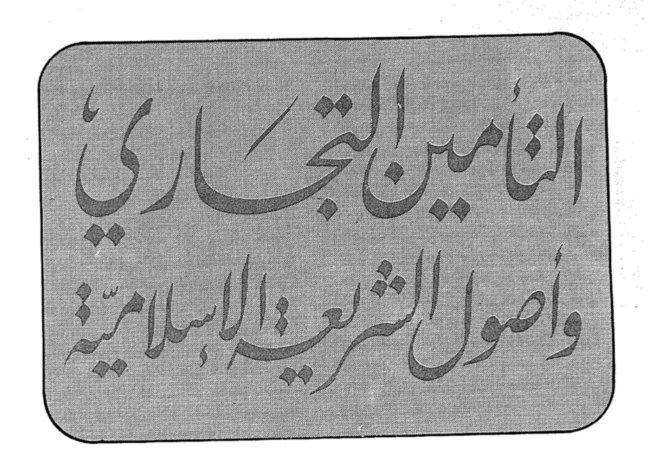
(٥) النجـــم : ٢٨

(٦) الـــروم : ٦ ، ٧ .

(٧) الانعـــــام : ٥٩

(٨) الاسراء : ٨٥

(٩) النجـــم : ١١



للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

١ ــ عقد التأمين التجاري من العقود المستحدثة التي اختلف فقهاء هذا العصر حول حكم الشريعة الاسلامية فيها . ولكل رأي من آراء هؤلاء الفقهاء دليله ، وفي هذا المقال وما يليه من مقالات ، نعرض ــ ان شاء الله ــ هذه الأدلة على أصول الشريعة الاسلامية ، سواء أدلة من اجازوه أو أدلة من حرموه ، لنعرف مدى صحة الاستدلال بهذا الدليل أو ذاك ، عسى الله عز وجل أن يهدينا الى أصوب رأي فيه .

خذوا حذركم

٢ ــ ان أنصار التأمين يذكرون أن الحياة لا تخلو من كوارث ومخاطر تصيب الانسان في شخصه كالموت والمرض أو في ماله كالحريق والهلاك والتلف ومسئوليته عن خطئه .. الخ وتتزايد هذه الكوارث والمخاطر وتتنوع في العصر الحديث بتنوع استخدام وسائل المدنية الحديثة كالسيارات والآلات والأجهزة السلكية واللاسلكية ويتخذ أكثر الناس وسائل للوقاية من هذه الكوارث وتلك المخاطر كالتطعيم ضد الأوبئة والعلاج من المرض والتوسع في استخدام وسائل الأمن الصناعي لحفظ الأموال والأشخاص من الهلاك أو التلف وتنظيم استخدام وسائل المدنية الحديثة بما يكفل أكبر قدر من الأمن

فيها ... الخ . والتأمين من الوسائل الحديثة للوقاية من الأخطار التى قد تنتج عند موت شخص او هلاك ماله أو ثبوت مسئوليته حيث يجبر مبلغ التأمين الذى يحصل عليه المؤمن له أو المستفيد ما قد يلحقه من ضرر الكوارث والمخاطر المؤمن منها .

واذا كان التأمين التجارى من وسائل جبر ضرر الكوارث والوقاية من الأخطار كالافلاس والضياع وغيرها ، فقد ساق بعض من أجاز التأمين (١) دليلا شرعيا على جوازه هو قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم » (٢) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن المؤمن له بعقده التأمين يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، وقد دعتنا الآية الى الأخذ بأسباب الحذر أيا كانت ، والتأمين من أسباب الأخذ بالحذر ، فيجوز شرعا .

واذا عرضنا الاستدلال سالف الذكر على أصول الشريعة الاسلامية لوجدنا أن هذا الاستدلال غير كاف للقول بجواز التأمين التجارى شرعا ، فهو استدلال قاصر . ذلك أن الآية سالفة الذكر وردت للحذر من العدو . عند قتاله ، والمراد منها خذوا سلاحكم حذرا أو احذروا عدوكم .

واذا كانت الآية قد نزلت بخصوص الحذر من الأعداء ، الا أنه ليس هناك ما يمنع من أن تكون عامة فى اتخاذ أسباب الحذر من أى خطر ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد وردت ألفاظ الآية عامة « خذوا حذركم » دون تخصيص لذلك بخطر معين . ومع ذلك لا يكفى الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا ، لأن الآيةتخاطبالذى آمنوا باتخاذ أسباب الحذر،وهؤلاء لايتخذون الا وسائل مشروعة تتفق مع أحكام الشرع ، فهل ثبت أن التأمين وسيلة من الوسائل المشروعة حتى ندعو الذين آمنوا الى اتخاذها كسبب من أسباب الحذر ؟ هذا أمر لم يثبت بعد ، لأن فريقا من العلماء ينازع فى شرعية التأمين (٣) . وبالتالى اذا أريد الاستدلال بالآية سالفة الذكر على جواز التأمين التجارى شرعا ، فيجب أن يثبت قبل ذلك أن التأمين وسيلة يقرها الشرع ، والا كان الاستدلال بهذه الآية غير كاف .

القضاء والقدر

٣ ــ وقد لاحظ فريق ممن حرم التأمين أنه مهما اتخذ الناس من وسائل للحيطة ضد وقوع الكوارث والمخاطر ، فانه لا يغنى حذر من قدر والمتأمل فى حياة أشد الناس حيطة وحرصا وحذرا لا بد أن يؤمن بالقضاء والقدر . وقدر الله هو سننه ونواميسه فى الكون ؛ وقضاؤه هو انفاذه القدر أى ايجاده الكائنات وتسييرها وفق ما قدره سبحانه . قال تعالى : « انا كل شىء خلقناه بقدر . وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر » (٤) وقد استدل هؤلاء الفقهاء (٥) بهاتين الآيتين وأمثالهما فى القضاء والقدر على تحريم التأمين . ووجهة نظرهم تتلخص فى أن التأمين انكار للقدر ، أو هو على الاقل تحد لقضاء الله وقدره واجتراء عليه بينما لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله وقدره .

واذا عرضنا الاستدلال السابق على أصول الشريعة الاسلامية ، نجد أنه استدلال غير صحيح ، لأن التأمين ليس انكارا للقدر وانما هو اعتراف به ومحاولة للتخفيف من آثاره لأنه ليس ضمانا لعدم وقوع الخطر وانما هو ضمان لجبر الضرر الذى

يحدث عند وقوع الخطر المؤمن منه . فمن يؤمن حياته ضد الموت أو يؤمن بضاعته ضد الغرق أو الحريق يعترف بالقضاء والقدر ويخشاه ويسعى للتخفيف مما قد ينتج عنه من أضرار . وقد شبه بعض الفقهاء (٦) التأمين بسفود الصاعقة ، وهو القضيب الحديدى الدقيق الراس الذى يوضع فى قمم المآذن أو المبانى العالية ، فهو لا يمنع الصاعقة ولكنه يخفف من أثرها اذ يتلقى شرارتها ويحولها الى جسمه حتى تتلاشى ، وليس فى وضعه فى قمم المبانى العالية تحد لارادة الله عز وجل أو انكار للقدر ، بل فيه اعتراف بقضاء الله وقدره . من جهة أخرى تجد المؤمن يعتمد فى حساباته لوقوع الخطر على علم الاحصاء ، ليعرف نسب الوفيات ونسب الحرائق ونسب حوادث السيارات وغير ذلك من المخاطر التى يقبل التأمين عليها . وقد ثبت فى علم الاحصاء أن الكوارث فى الكون لا تحدث جزافا ، وأن القضاء والقدر وان كان مفاجئا لشخص معين الا أن له ضوابط بالنسبة للكون كله . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان هذه الحقيقة حيث قال تعالى فيه « وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٧) . واعتماد المؤمن على ذلك وسعيه لمعرفة نسب الحوادث انما هو ايمان بالقضاء والقدر واعتراف به . ويمكن القول بأن الاتفاق على عقد التأمين انما هو اتفاق على التخفيف من آثار القدر ، أو هو اتفاق على دفع قدر بقدر فالقدر يمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع : قدر يستحيل على الانسان دفعه كالموت ، وقدر يمكن التخفيف من آثاره كغريزة حب الذات فهى قدر غالب لكن يمكن التخفيف من آثاره بتهذيب النفس وكبح جماحها ، وقدر ثالث يمكن للانسان دفعهبقدر آخر كأعداء الدين تقاومهم فندفع قدرا بقدر (٨) . وهكذا ننتهى الى أن التأمين التجارى ليس فيه انكار للقدر ولا تحد له ، وأن الاستدلال بآيات القضاء والقدر على تحريمه استدلال غير صحيح لا يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية الغراء .

التوكل على الله

٤ ــ لا شك انه يجب على كل مسلم أن يتوكل على الله ، فهل فى التأمين ما يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، أو أن فيه توكلا عليه سبحانه .

قد يبدو ان التأمين يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، فالمؤمن له لا يعتمد على الله عز وجل فى دفع ما قد يلحق به من ضرر ، وانما يعتمد على المؤمن الذى سيدفع له مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد قال تعالى : ــ « .. وليس بضارهم شيئا الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٩) .

وقد يبدو أن التأمين فيه توكل على الله عز وجل ، اذ يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل» لأن المؤمن له لا يترك نفسه أو ماله نهبا للمخاطر التى قد تلحق به وانما يحتاط لنفسه بالتأمين ثم يتوكل على الله عز وجل .

والصحيح أن التوكل على الله عز وجل هو الاعتماد على رب الأرباب مع عدم التفريط فى الأخذ بالأسباب . وقد انقسمت الخلائق بالنسبة الى التوكل على الله عز وجل الى ثلاثة أقسام (١٠) قسم أهمل الاسباب واعتمد على قدرة الله تعالى . وهذا تفريط وسوء

ادب مع الله تعالى لأنه سبحانه رتب المسببات على الاسباب . وقسم آخر اتخذ الأسباب وأعرض عن الاعتماد على رب الأرباب ، وهذا ادعاء بالعلم لا محل له لأنه ينقصه الايمان بمسبب الأسباب ، وكم من أسباب اتخذت ولم تترتب عليها نتائجها ، مما يدل على ان هناك ارادة أخرى تتدخل فى ترتيب هذه النتائج هى ارادة الله تعالى . والقسم الثالث جمع بين اتخاذ الأسباب والاعتماد على رب الأرباب ، وهذا هو التوكل بحق على الله عز وجل .

والتأمين يتخذ سببا لجلب منفعة أو دفع مضرة ، فالمؤمن له يتخذه سببا لجلب منفعة حاضرة بادخار ما فاض معه من نقود فى صورة اقساط التأمين او لجلب منفعة مستقبلة ليعود به هو او ورثته الى مركزه المالى قبل تحقق الخطر اذا حل به هذا الخطر . كما قد يتخذه المؤمن له سببا لدفع ضرر حاضر كالقلق والخوف من وقوع الخطر المؤمن منه او لدفع ضرر مستقبل عند وقوع الخطر بقبض مبلغ التأمين لجبر ما لحقه من ضرر (١١).

واذا كان التأمين اتخاذا للأسباب ، فقد يكون فيه توكلا على الله عز وجل وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على رب الأرباب فى دفع الخطر وفى أمل الحصول على مبلغ التأمين ان تحقق الخطر ، كما أن التأمين قد يخلو من التوكل على الله وذلك اذا اعتمد المؤمن له فيه على المؤمن ولم يعتمد فيه على الله عز وجل . فالأمر يتوقف على علاقة المؤمن له بربه ونيته عند التأمين ، ولا شأن لنظام التأمين فى ذاته بالتوكل على الله . جل وعلا . وبالتالى لا يصلح الاستناد الى آيات التوكل على الله والأحاديث المتصلة بها للقول بجواز التأمين شرعا أو بتحريمه .

— ● —

وهكذا ننتهى ، الى أن التأمين التجارى اذا كان سببا من أسباب الأخذ بالحذر فليس فى هذا دليل كاف على جوازه شرعا ، كذلك لا يصح القول بأن فيه ما يتنافى مع قضاء الله وقدره للاستناد الى ذلك فى تحريمه ، فقد رأينا أنه اعتراف بقضاء الله وقدره ومحاولة للتخفيف من آثاره ليس فيها أى تحد لارادة الله عز وجل . كذلك انتهينا الى أن التأمين التجارى لا شأن له فى ذاته بالتوكل على الله أو عدم التوكل عليه ، فمرجع ذلك الى النية .

الأمر بالوفاء بالعقود .

٥ — من المعروف أن التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المؤمن له أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن الذى يأخذ على عاتقه مجموعة من المخاطر ويجرى بينها مقاصة طبقا لقوانين الاحصاء .

ومن المعروف كذلك أن الله عز وجل أمرنا بالوفاء بالعقود . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١٢) .

وقد استدل بعض من أباح التأمين (١٣) بالآية سالفة الذكر على جوازه شرعا . ووجه الاستدلال أن لفظ

العقود فى الآية الكريمة لفظ عام ، فيشمل عقد التأمين وغيره من العقود ولو لم يشمله وكان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، وقد بلغ الرسالة وادى الأمانة . والشارع هنا فى الآية الكريمة كان فى مقام البيان لا الاجمال ، وحيث لم يبين يكون العموم مرادا ويدخل عقد التأمين تحت عموم كلمة العقود .

والحجة السابقة غير سليمة فى الاستدلال على جواز التأمين شرعا ، كما أنها غير كافية للقول بمشروعيته .

فليس صحيحا أن الآية الكريمة عامة فى وجوب الوفاء بكل عقد ، لأنه لا يعقل أن تأمر الآية بالوفاء بعقد القمار مثلا او عقد الربا او غير ذلك من العقود المحظورة ، فدل ذلك على أن لفظ العقود فيها ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وقد فسرت هذا اللفظ المجمل آيات أخرى كما فسرته سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤكد أن لفظ العقود فى الآية سالفة الذكر لفظ مجمل ، أن سياق هذه الآية يدل على أن الشارع كان فى مقام الاجمال لا البيان ، فهو سبحانه لم يذكر الآية لبيان العقود الجائزة وانما أجمل ذلك ، فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد » (١٤) . وهذه كلها آية واحدة ، والوفاء بالعقود شطر منها ، مما يدل على أن لفظ العقود هنا لفظ مجمل .

وقد فسر الشارع لفظ العقود المجمل هنا فبينه فى آيات أخرى ، كما فسر الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان العقود المنهى عنها . فالله عز وجل فى آيات أخرى نهى عن عدة عقود كالعقد على الربا والعقد على الخمر والعقد على لحم الخنزير والعقد على الميسر (القمار) .. الخ . كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن عقود اخرى كعقود الغرر وبيع حاضر لباد وبيع النجش وبيع الحصاة وبيع الملامسة وبيع المنابذة وغير ذلك مما هو محظور فى الشريعة الاسلامية وهذا النهى عن بعض العقود يدل على أن لفظ العقود الوارد فى الآية ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل . كما يدل هذا النهى على أن المراد بالعقود فى الآية سالفة الذكر هو العقود الخالية من المحظورات . يؤكد ذلك أن الآية تخاطب الذين آمنوا ، وهم من صدقوا بكل ما جاء فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٥) .

ولا يلزم أن يصرح الشارع بكل محظور تفصيلا بجميع انواعه ، اذ يكفى أن يضع الشارع القاعدة لنستنبط منها ونقيس عليها . فالله سبحانه مثلا نهى عن الميسر فيدخل فيه كل نوع منه ما كان من قبل وما يستحدث فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الغرر فيدخل فيه ما كان منه وما يكون فيه بعد ذلك .. وهكذا . وبالتالى لا يصح القول بأن التأمين لو كان محظورا لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث لبيان الحلال والحرام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع لنا القواعد وبلغ الرسالة وادى الأمانة وعلينا أن نطبق هذه القواعد لنرى هل التأمين جائز شرعا أم هو محظور؟ ومن المعروف أن فريقا من الفقهاء يرى أن تطبيق هذه القواعد يؤدى الى القول بأن التأمين فيه ربا وغرر وجهالة ومخالفة لقواعد الميراث والوصية مما هو محظور .

وطالما انتهينا الى أن لفظ العقود فى الآية الكريمة سالفة الذكر ، ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وأن الشارع قد فسر هذا اللفظ المجمل بأن المراد منه هو العقود التى استوفت الشروط والأركان وخلت من المحظورات ، فانه اذا اريد الاستدلال بهذه الآية على وجوب الوفاء بعقد التأمين وجوازه شرعا ؛ فانه يجب قبل ذلك أن يثبت أن عقد التأمين قد استوفى ما نصت عليه الشريعة الاسلامية من أركان وشروط وخلا من المحظورات ، وهو أمر لا زال محل نزاع بين العلماء ، وبالتالى كان الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا استدلالا غير كاف .

استحداث عقود فى الاسلام

٦ ـــ ذهب بعض من حرم التأمين (١٦) الى أن العقود الجائزة فى الاسلام واردة على سبيل الحصر ، وأن عقد التأمين ليس من العقود المعروفة فى صدر الاسلام ، فلا يكون عقدا جائزا شرعا ، على أساس أن الاسلام ـــ فى نظر هذا الفريق من الفقهاء ـــ لا يجيز احداث اى عقد لم يكن معروفا فى صدره ، لأنه جاء كاملا ولأن اضافة عقود أخرى الى العقود المعروفة فى شريعته معناها احداث تشريع جديد بدون استناد .

ويكاد يكون هذا الرأى رد فعل على نقيض الرأى السابق الذى ينادى بأن الوفاء بالعقود يشمل كل عقد فيشمل عقد التأمين ! وكأن هذا الرأى يذهب الى ان المقصود بالعقود فى آية سورة المائدة سالفة الذكر هو العقود المعروفة فى صدر الاسلام !

والصحيح ان الزعم بأن الاسلام لا يجيز احداث أى عقد لم يكن معروفا فى صدره ، انما هو دعوى بلا دليل .

واضافة عقد جديد الى العقود المعروفة فى صدر الاسلام لا يعنى احداث تشريع جديد دون استناد ، لأن العقد الجديد قد يتفق مع أصول الشريعة الاسلامية وقد يختلف معها . فاذا كان العقد الجديد لا يتعارض مع أصول الشريعة وأحكامها فهو خاضع لما شرعه الله ورسوله وليس فيه تشريع جديد دون استناد ، لأنه يستند الى الاصول العامة للشريعة الغراء أما اذا كان العقد الجديد يختلف مع أصول الشريعة وأحكامها فهو مردود لأنه لا يستند الى شىء من هذه الأصول ولا تلك الأحكام . فالامر يتوقف على مدى اتفاق العقد الجديد مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها . وبالتالى اذا كان عقد التأمين عقدا جديدا فهل يتفق مع أصول الشريعة وأحكامها فيكون جائزا شرعا أم يختلف معها فلا يجوز شرعا ؟ هذا أمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

واستحداث عقد جديد لا ينتقص من كمال الاسلام شيئا ؛ لأن كما له يتأتى من أن قواعده فيها ما يحكم على كل جديد ، لا أن قواعده صرحت بكل صغيرة وكبيرة فيمتنع الجديد ، وبالتالى للناس أن يتعارفوا على أنواع جديدة من العقود ، وعلى الفقهاء عندئذ استنباط حكم الاسلام فى هذه العقود الجديدة . (١٧) .

وطالما انتهينا الى أنه يجوز استحداث عقود جديدة فى الاسلام ، اذا كانت هذه العقود لا تتعارض مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها فانه يتضح أن لفظ العقود فى الآية الأولى من سورة المائدة لا يقتصر على العقود المعروفة فى صدر الاسلام

وانما يشمل ما يستحدث بعد ذلك طالما استوفى الشروط والأركان وخلا من المحظورات .

الأصل هو الاباحة

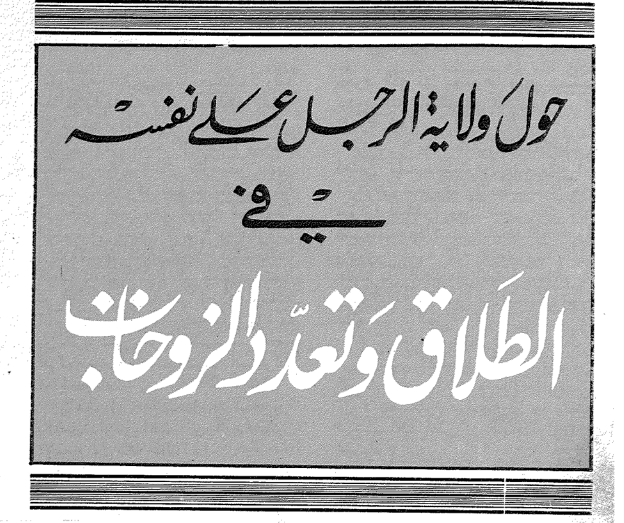
٧ — على أن فريقا آخر من الفقهاء (١٨) استدل على جواز التأمين شرعا بأن الأصل هو الاباحة . قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا .. (١٩) وطالما خلق الله عز وجل لنا ما فى الارض جميعا لننتفع به ، فان الأصل فى معاملات الناس فيما خلقه الله لمنفعتهم هو الاباحة . وبالتالى فان الأصل فى عقد التأمين وهو معاملة وشروط هو الاباحة ، فيكون عقدا جائزا شرعا بهذا الاعتبار .

والاستدلال سالف الذكر غير كاف ، لأنه اذا كان الأصل فى العقود والشروط هو الاباحة (٢٠) ، فذلك اذا لم يثبت أن العقد أو الشرط لا يتعاوض مع أصول الشريعة الاسلامية وأحكامها . فهل ثبت ذلك فى عقد التأمين حتى نستدل على جوازه شرعا ؟ الأمر يتطلب بحث عقد التأمين ذاته .

والى مقال تال نستكمل الجزء التالى من هذا البحث ان شاء الله تعالى .. !!

---

(١) محمد وصفى فى مقال له بمجلة منبر الاسلام س ٢١ عدد ١٢ .
(٢) من الآية ٧١ من سورة النساء .
(٣) أحمد النجدى فى « عقد التامين بين الشريعة والقانون » رسالة على الآلة الكاتبة ص ٣٢٨ .
(٤) الآيتان ٤٩ و ٥٠ سورة القمر .
(٥) أحمد الخريصى فى بحث له لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(٦) مصطفى الزرقا فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ط ١٩٦١ م ص ٤٠٠ و ٤٠١ .
(٧) الآيتان ٨ و ٩ سورة الرعد .
(٨) على الخفيف فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف ص ٢٦ وأحمد النجدى فى رسالته المرجع السابق ص ٣٣٩ ..
(٩) من الآية ١٠ سورة المجادلة .
(١٠) زاد المعاد هـ ٢ ص ١٤ .
(١١) قحطان الدروى فى رسالته عن التامين ص ١٤٢ ويرى أن سعى المؤمن له لجلب المنفعة يشبه سعيه لادخار مافاض معه من نقود وكالقائه الحبة فى الارض لتخرج زرعا ، وسعيه لدفع ضرر يشبه عدم نومه على قارعة الطريق وتداويه من المرض ، فهو اتخاذ للاسباب لحفظ موجود أو جلب منفعة أو دفع ضرر لم ينزل به أو نزل .
(١٢) من الآية الاولى من سورة المائدة .
(١٣) على آل كاشف الغطاء فى بحثه المقدم لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(١٤) الآية الاولى من سورة المائدة .
(١٥) أحمد النجدى فى رسالته « عقد التامين بين الشريعة والقانون » ص ٣٨ .
(١٦) عبد الستار السيد وفخر الدين الحسنى من علماء سوريا فى بحثهما لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف .
(١٧) مصطفى الزرقا والصديق الضرير فى اسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٣٨٨ و ٤٣٨ على التوالى . ومحمود قاسم بعيون فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية . وأحمد الخريصى ، فى بحثه لمجمع البحوث الاسلامية .
(١٨) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه الاسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ — ٤٧٨ .
(١٩) من الآية ٢٩ سورة البقرة .



للاستاذ : محمد عزة دروزة

قرأت المقال الممتع للدكتور محمد البهي في عدد جمادي الأولى من مجلة (الوعي الاسلامي) بالعنوان الذى عنونت به هذا المقال .

وأنا أعترف بأن الدكتور عالم متمكن واقدر عمله وفضله . واعرف أن عمله وتمكنه مما يجعل لكتاباته قوة وأثـرا في القارىء ويوجب عليه احترامه .

وانا اشاركه في ما جاء في تمهيدات مقاله من تنبيهات وانتقادات وملاحظات فيها سداد . وفيها دفاع عن الشريعة الاسلامية وايجاب الالتزام بها وعدم تهاون الحكومات الاسلامية في ذلك واستبدال النظم والاتجاهات الغربية بها وجعلها متأثرة بها .

وبيت القصيد في مقاله هو مـا

عنون به المقال وعنونا به مقالنا . ولقد بدأ كلامه بقوله (وإن حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه فى الطلاق وفى تعدد الزوجات وتجعل للقاضى بدلا منه حق الترخيص بهذين الأمرين تكون قد سارت بالعلمانية أو فصل الدين عن الدولة الى نهاية الشوط فى شئون الأسرة وبالتالى الى ترك الاسلام كلية وابعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد الى خصوصياتهم) ثم أخذ يعرض آيات الطلاق وتعدد الزوجات ويشرحها وينبه على ما فيها من تقرير لكون الرجل هو صاحب الولاية فيهما وحسب دونما استدراك أو استثناء .

واعتقد أن هذا يتحمل كلا ما جديرا بالتأمل . وانى أعجب أن يكون الدكتور الألمعى قد فاته ذلك .

فأولا : ليس من أحد يستطيع أن ينكر أن كثيرا من المسلمين فى مختلف الحقب أساءوا وما يزالون يسيئون استعمال ولايتهم على أنفسهم فى الطلاق وتعدد الزوجات . وأن ذلك قد بلغ حد الظلم وادى وما يزال يؤدى الى فواجع ومآس أليمة محزنة .

وثانيا : ان فى القرآن آيات تلهم أن اساءة استعمال تلك الولاية والوقوع فى اثم ذلك متوقع كما تفيده هذه الآيات :

١ ـ « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فى ما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .. » البقرة ٢٢٩ .

٢ ـ « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم .. » البقرة ٢٣١ .

٣ ـ « وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا »(١) النساء ٣ .

٤ ـ « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن(٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .. » النساء ١٨ ـ ٢٠ .

٥ ـ « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون

خبيرا . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسعا حكيما .. » النساء ١٢٨ — ١٣٠ .

٦ — « يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الطلاق ١ و ٢ .

ثالثا : ان اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق تكون فى حالتين . الأولى أن يندفع بنزواته وانفعالاته فيسرع فى استعمال هذه الولاية بدون ترو وتدبر ولأتفه الأسباب مما يؤدى الى ظلم وشقاء الزوجة والأولاد وانهدام الحياة الزوجية وتحقق المآسى والفواجع . فى حين أن الطلاق الذى هو ابغض الحلال الى الله كما وصفه رسول الله (٣) انما ابيح من أجل الفراق الذى لا يكون مناص منه بعد استنفاد بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة كل الوسائل التى أمر الله من معاشرة بالمعروف وكظم للغيظ فى حالة الكراهية وعدم العضل للابتزاز وبذل الجهد للاصلاح والصلح كما جاء فى آيات النساء ١٨ — ٢٠و١٢٨ — ١٣٠ التى أوردناها آنفا ، وكما جاء فى آية سورة النساء هذه (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ٣٥ ، ثم من مراجعة مرة بعد مرة وحث على العودة الى الزوج فى حال غلبة الظن بالصلاح والاصلاح كما جاء فى آيات البقرة هذه (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا) ٢٢٩ ، وهذه (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ٢٣٣ ، وأصبح الوسيلة الوحيدة لخلاص الزوجة من الشقاق والشقاء .

والحالة الثانية : أن يكون تمسك الزوج بولايته بقصد الابتزاز والاعتداء والمكايدة والاضرار الذى نبهت عليه آيات البقرة ٢٣١ والنساء ١٨ مع الشذوذ عن المبدأ القرآنى المحكم الذى أقام الله عز وجل عليه الحياة الزوجية الرضية وهو الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان كما جاء فى الآيتين ٢٢٩ و ٢٣١ من البقرة والآية الثانية من سورة الطلاق فيتحقق بذلك الظلم وتفقد المودة والرحمة اللتين جعلهما الله اساسا للحياة الزوجية كما جاء فى آية سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .. (٢١) .

وفى صدد اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه فى تعدد الزوجات نقول ان الله قد نبه فى آية النساء (٣) ان التعدد مظنة الجور وعدم العدل . ونبه فى آية النساء (١٢٩)

ان العدل غير مستطاع . ونبه في الآية (٣) بناء على ذلك على أن الأولى للمسلم ان يكتفى بزوجة واحدة . واذا كان الله سبحانه لم يغلق الباب فلانه يعلم أن طبيعة الحياة تقتضى بقاءه مفتوحا وقاية للرجل من إثم الزنا أو ضرر الحرمان والكبت أو تحقيقا للرغبة في البنين من حيث أن تكون زوجته الأولى مريضة مرضا مانعا أو عجوزا أو غير مشتهاة أو عاقرا أو من حيث اضطراره الى غياب طويل الخ الخ وقد ابقى الله الباب مفتوحا في ظل التنبيهات والتحذيرات المذكورة وفي ظل ما يكون من قدرة على الانفاق التى هى من صور وواجبات العدل المطلوب . واساءة استعمال هذه الرخصة تكون في اندفاع الرجل وراء شهواته ونزواته في حين يكون عنده زوجة مغنية منجبة . وتكون كذلك في عدم القدرة على الانفاق . وعدم المبالاة بالعدل بين الزوجات والأولاد فتتحقق بذلك المآسي والفواجع في الشقاق والشقاء والضياع والعداوة بين الأخوة والأخوات والزوجات الخ .

رابعا : ان المتبادر الذى لا يصح ان يتبادر الى الذهن غيره هو أن الدعوة الى ايجاب جعل الطلاق وتعدد الزوجات منوطين بالقضاء قد هدفت الى الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في هاتين المسألتين وتلافي ما يمكن أن يؤدى ذلك اليه من ظلم وفواجع ومآس .

ونهتف بكل قوة ونقول ان الله عز وجل لا يمكن أن يرضى عن اساءة استعمال شرعه وما يمكن أن ينتج عنها من ظلم ومآس وفواجع وشقاء . وان حكمته وعدله ليأبيان أن يقول أحد إنه لا يجوز مس ولاية المسلم على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات ولو شذ عن المبدأ القرآنى المحكم الامساك بالمعروف والتسريح باحسان ولو تمسك بزوجته لضررها والاعتداء عليها وابتزازها . ولو كان فظا غليظ القلب فاحش اللسان طويل اليد بالضرب والأذى . ولو كان مندفعا وراء نزواته وانفعالاته يطلق كيف يشاء ويتزوج كيف يشاء أو سكيرا فاسقا وعربيدا ولو كان غير قادر على الانفاق على زوجة واحدة فضلا عن أكثر من واحدة . ولو كانت زوجته مغنية منجبة حيث يكون كل هذا تجاوزا على حدود الله وسببا في الظلم والضرر والشقاء وانهدام الحياة الزوجية .

خامسا : واذا كان ما قلناه ان الله لا يرضى عن سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في الطلاق والتعدد حقا فان هذا يستتبع أن يقال ان الله تعالى يرضى عن الحد من هذه الولاية لتلافى نتائج الاساءة في استعمالها . ولا سيما أن الله قد نبه على أن الشذوذ في استعمال هذه الولاية واساءتها وما يؤدى ذلك اليه من جور وظلم متوقع .

سادسا : ان المتمعن في كتاب الله واجد فيه الوسائل الى ذلك بحيث يصدق القول ان الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في الطلاق والتعدد متسق مع كتاب الله عز وجل وليس فصلا للدين عن الدولة ولا أيغالا في العلمانية والاستغراب ولا تعطيلا لشريعة الله .

فبالاضافة الى ما في كتاب الله من شجب للاثم والظلم والتجاوز على حدود الله وايجاب دوران حرية

المسلم في افعاله واقواله في نطاق الحلال واجتناب الحرام والظلم والأذى بصورة عامة مما يمثله آيات كثيرة كثرة تغني عن التمثيل فان فيه آيات خاصة يمكن أن تكون منطلقا ووسيلة الى ذلك .

ففي آية النساء (٣٥) التي اوردناها قبل أمر الله المخاطبين بالمبادرة للتدخل بين الزوجين اذا خيف الشقاق بينهما . والمبادرة للتدخل تكون اشد وجوبا اذا وقع الشقاق بطبيعة الحال . ومن اسباب الشقاق الذي يمكن ان ينشب بين الزوجين أن يريد الزوج التزوج بأخرى أو أن يشذ عن المبدأ القرآني (الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان) ويتمسك بزوجته بقصد المكايدة والضرر والابتزاز او يكون طائشا سريع الانفعال يطلق لاتفه الأسباب .

والخطاب في الآية عام يمكن أن يكون لجماعة الحل والعقد من المسلمين او للحاكم . والحاكم على كل حال مخاطب فيها . وهي مطلقة بحيث يصح أن يقال في ضوء ذلك ان المبادرة يمكن أن تكون بمراجعة الزوجة أو أهلها أو من الحاكم مباشرة اذا بلغه احتمال الشقاق أو وقوعه ، والآية تامر بالتدخل للاصلاح الى ازالة اسباب الشقاق . وتلافي نتائج سوء استعمال الزوج لولايته على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات مما شرحنا صوره ومظاهره قبل . وقد ينجح الحكمان في ازالة الأسباب وتلافي النتائج وهو المقصود في التوجيه القرآني وقد لا ينجحان ويتمسك كل من الزوجين بموقفه فيتعذر الاصلاح والتوفيق . ومن الفقهاء من يجتهد بأن للحكمين أن يفرقا بين الزوجين ويخلصا كلا منهما من الشقاق والشقاء وهذا من وحي آيات النساء (١٢٨ ــ ١٣٠) ومنهم من يقول إن الحكمين يقترحان التفريق على الحاكم والحاكم هو الذي يفرق . وعلى كل حال ففي ذلك تدخل في ولاية الرجل على نفسه وحد لها مستلهمان من التوجيه القرآني . ولقد روى الشافعي في صدد ذلك حديثا جاء فيه (جاء رجل وامرأة الى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئة من الناس . فامرهم فبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين أتدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا فافعلا . وان رأيتما التفريق فافعلا . قالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ومالي . وقال الرجل اما الفرقة فلا . فقال علي كذبت والله حتى تقر بما أقرت به) (٤)

وللفقهاء اجتهاد مماثل في صدد الايلاء (٥) فاذا مضت الشهور الاربعة المعينة للزوج المولي على ما ذكرته آيات سورة البقرة هذه (للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم . وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) ٢٢٦ و ٢٢٧ . ولم يرجع الزوج عن ايلائه فان الزوجة تطلق منه تلقائيا طلقة رجعية في اجتهاد وان للزوجة ان ترفع أمرها للحاكم والحاكم يطلق على الزوج في اجتهاد حتى لا تبقى الزوجة معلقة فتتظلم وتتضرر . وفي كلا الاجتهادين لا يملك الزوج أن يرفض بحجة أن الطلاق بيده وهو ولي نفسه عليه .

وكذلك في الظهار (٦) حيث يوجب القرآن على المظاهر الذي يعود عما قال كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام ستين مسكينا .

فاذا امتنع الزوج عن التكفير فالزوجة ترفع أمرها للحاكم . والحاكم يجبر الزوج على التكفير أو يعين له مدة فاذا لم يكفر فيها طلق عليه ولا يملك الزوج الرفض بحجة ولا يته على نفسه في الطلاق حسب ما عليه اجتهادات الفقهاء وهو ما تلهمه روح التوجيهات القرآنية . ولقد قال بعض المفسرين ان جملة (فان خفتم) في آية البقرة ٢٢٥ موجهة للحكام . وهذا سديد تسوغه صيغة الآية حيث يكون في الآية على ضوء ذلك توجيه للحاكم بوجوب التدخل وحل النزاع الذي ينشب بين الزوجين اذا خيف ان لا يقيما حدود الله . وفي الآية تسويغ لافتداء الزوجة نفسها ببعض المال من زوجها حتى تخلص مما تعانيه من أذى وشقاء . وفي صدد ذلك روى البخاري والنسائي عن ابن عباس (ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام (تعني انها تكرهه ولا تطيق معاشرته وتخشى أن تكون في ذلك شاذة عن الدين) فقال رسول الله اتردين عليه حديقته قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) . وقد يقال ان الرجل استعمل ولايته ولكن هذا الاستعمال لم يكن في الحقيقة طوعا من نفسه وانما هو اطاعة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

سابعا : ليس هناك خلاف في أن القضاء هو صاحب صلاحية في التدخل لتنفيذ وصية الموصى اذا رفض الورثة تنفيذها وكانت في حدود سنة رسول الله أي الثلث أو أقل . ولاعطاء كل ذي حق حقه من الارث اذا اراد بعض الورثة ظلم بعضهم الآخر ولاعطاء صاحب الدين دينه من تركة الميت اذا رفض الورثة ذلك . وفي الزام المطلق أو ورثته بنفقة المطلقة وسكناها اثناء العدة وأجر رضاع طفلها . وفي الزام الزوج بدفع مهر زوجته . وفي التدخل لمنع الناس من أكل أموال بعضهم بالباطل .

وصيغ التشريعات القرآنية في هذه المسائل موجهة للمسلمين ليلتزموا بها دينا وايمانا وتقوى . ووقوفا عند حدود الله وأوامره . وليست موجهة للحكام أي انها تجعل الولاية للمسلمين على أنفسهم في ذلك كله . وهي مماثلة في أسلوبها ومداها لصيغ آيات الطلاق وتعدد الزوجات . ويبدو هذا من مقارنة الآيات مع بعضها . فاذا كان تدخل الحاكم سائغا في هذه الأمور فيكون ذلك سائغا أيضا فيما يتبادر لنا في مسائل اساءة الزوج لاستعمال ولايته على نفسه في الطلاق والتعدد . واذا قيل إن تلك المسائل حقوقية وللسلطان احقاق الحقوق فان واجب السلطان في منع الظلم والضرر غير منازع فيه أيضا . وظلم الزوج لزوجته من أشد أنواع الظلم لانه مؤد الى الفواجع والمآسي وهدم الحياة الاجتماعية .

وآيات سورة الطلاق الاولى والثانية تأمر باحصاء العدة واشهاد العدول واقامة الشهادة لله . وكل هذا انما يكون لاحتمال رفع الأمر للقضاء ويسوغ القول بالتالي ان القضاء مرجع لجميع هذه الأمور فليس في الدعوة الى ذلك شذوذ وتجاوز يجعلانها بمثابة فصل الدين عن الدولة .

وهناك احاديث نبوية كثيرة (٧) تفيد أن المسلمين كانوا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم فى مختلف شئونهم الأسرية ومنها الطلاق والخلع والعدة والنفقة الخ وان النبى كان يقضى بينهم فى ذلك . وفى بعضها كان النبى يتدخل مباشرة فى بعض المواقف ويفسر مدى التشريع القرآنى فيها وهو فى متناول كل من يريد وكثيرة كثرة تجعل المقال طويلا جدا لو أردنا ايرادها . حيث يكون فى ذلك أيضا ملهمات بأن القضاء الاسلامى مرجع شرعى صحيح لهذه الأمور . وقد يقال إنهم كانوا يراجعونه لأنه نبى مشرع يوحى اليه وهذا حق . ولكنه كان يتلقى مراجعتهم ويقضى بينهم كقاض وكصاحب السلطان أيضا على ما تفيده أحاديث كثيرة . وهناك حديث صريح الدلالة على هذا . فقد روى الخمسة عن ام سلمة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أنا بشر وانكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار) (٨) .

هذا . وقد يلحظ انى أدرت الكلام على سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه فى الطلاق والتعدد . وقد يقول قائل انه قد يكون سائغا ان ينظر القضاء فى الأمر فى حالة الشكوى والمراجعة وان التوجيهات القرآنية هى فى صدد ذلك فى حين أن النقد الموجه من الناقدين لاناطة ذلك للقضاء هو بسبب الدعوة الى جعل هذه الاناطة عامة شاملة وسواء أكانت شكوى وخوف شقاق واساءة أم لم تكن حيث يكون الطلاق والتعدد منوطا باذن القضاء مطلقا . وجوابا على هذا أقول أن الدكتور البهى أدار الكلام على نقد المساس بولاية المسلم على نفسه مطلقا ولم يستدرك ولم يستثن فتاثر كلامى بذلك .

ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة (٢٢٩) فى سواغ افتداء الزوجة نفسها ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا رفض الزوج وأصر على التمسك بزوجته ضرارا واعتداء ، وابتزازا . ولقد نبه الدكتور على مبدأ الامساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن هذا المبدأ . ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة التى تأمر بعدم الامساك بالزوجة المطلقة للضرر اذا بلغت أجلها وامساكها بالمعروف أو مفارقتها بالمعروف ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا شذ الزوج عن ذلك . ولقد أورد الدكتور آية سورة النساء (٣) التى تأمر بالاكتفاء بواحدة اذا خيف الجور وعدم العدل ولم يذكر ماذا يكون الأمر اذا تحقق الجور وعدم العدل بالتعدد .

ولا ريب فى أن الدكتور يعرف أن للزوجة أن تراجع القضاء وان للقضاء ان يتدخل وأن تدخله قد يصل الى الحد من ولاية الزوج على نفسه فى ضوء آية النساء (٣٥) والمأثورات واجتهادات الفقهاء فيها على ما شرحناه قبل . والظاهر أنه تحرز من ذكر ذلك حتى لا يضعف نقده .

ومن ذلك فانى لا أعتقد أن فى كتاب الله وسنة رسوله ما يمنع أن يناط امر الطلاق وتعدد الزوجات عامة بالقضاء الاسلامى الذى يكون الكتاب والسنة والفقه الذى يقوم عليهما

مرجعه وسنده . بل وأعتقد أن فى القرآن والسنة ما يلهم ذلك . وأعتقد أن هذا العمل هو تنظيم اسلامي وليس كما يوصف فصلا للدين عن الدولة . ولا تعطيلا للشريعة الاسلامية ولا ايغالا فى العلمانية والاستغراب . وانه لمن الممكن الاحتياط بحيث يدع القاضي ولاية المسلم على نفسه نافذة يباشرها بحريته اذا ما تحقق له فى الحالة التى ترفع اليه أنه ليس فيها سوء استعمال وظلم وضرر ويتدخل فقط فى الحالة التى يتحقق له فيها ذلك فيحد من الولاية ويمنع الظلم والجور والضرر استنادا الى حقه وواجبه فى منع الظلم والأذى والضرر وتأييد المبادىء القرآنية فى بذل الجهد فى الاصلاح والامساك بالمعروف فى حالة جنوح المسلم الى الطلاق ويمضيه اذا تعذر التوفيق والاصلاح ثم فى منع التعدد الذى يكون الجور وعدم العدل مؤكدا والذى لا تكون الضرورة البشرية والصحية فيه قاضية . ويمضى ما لا يكون فيه ذلك . ورايى هذا ليس جديدا ولعلى من أوائل الداعين اليه فقد شرحته فى كتابى (الدستور القرآنى فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ (٩) ، ثم أعدت ايراده مع زيادة فى الشرح فى الطبعة الثانية لهذا الكتاب المعنون (الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة) المطبوع فى مصر ١٣٨٦ — ١٩٦٩ (١٠) وقد أوردت الملهمات القرآنية والنبوية ورددت على ما يورد على هذا الرأى من اعتراضات . ولولا خوف التطويل وقد طال المقال حقا لأوردت ذلك .

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) لا تعولوا فى آية النسا(٣) بمعنى لا تميلوا عن الحق ولا تجوروا .

(٢) لا تعضلوهن فى آية النساء ١٨ وفى آية البقرة (٢٣٢) بمعنى لا تمسكوا بهن بقصد الابتزاز وعدم العودة الى ازواجهن .

(٣) حديث ابغض الحلال الى الله الطلاق رواه ابو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم — التاج ج ٢ ص ٣٠٨ .

(٤) التاج ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٥) الايلاء يمين يحلفها الزوج بان لا يعاشر زوجته جنسيا .

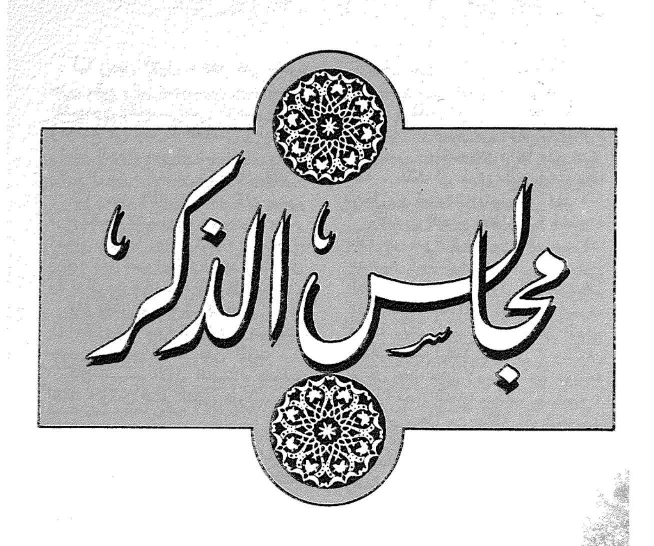
(٦) الظهار ان يقول الزوج لزوجته انت على محرمة كظهر امي .

(٧) انظر الجزء الثانى من التاج ص ١٧٦ الى آخره والجزء الثالث ص ٣ — ٦٥ .

(٨) هذا الحديث فى الجزء الثالث ص ٦١ .

(٩) الدستور القرآنى فى شئون الحياة ص ١٧٠ — ١٨١ .

(١٠) الجزء الاول من الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة ص ٢٧١ — ٢٩٨ والجزء الثانى ص ٩٠ وبعدها .



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

– ١ –

كانا جارين ليس بين داريهما غير حائط قصير يسهل اجتيازه على الشاب والرجل ، ولكنهما كانا متناقضين في الطباع والخلق والسيرة . أما الاول فكان يمثل النور بما فيه من صفاء وبهجة وخير ، وأما الثاني فكان يمثل الظلام بما فيه من عتمة وانقباض وشر .

وساق سلوك الاول صاحبه الى حب الناس وتقديرهم ورضا الله ، وساق سلوك الثاني صاحبه الى الموت شنقا والى كره الناس له وسخط الله عليه .

رحلا من هذه الدنيا كل بأجله الموعود ، ولكن سكان الموصل لا يذكرون الاول الا بالرحمات والعبرات ولا يذكرون الثاني الا باللعنات والمسبات .

وكان رحيل الجارين حين رحلا ، يوما مشهودا يذكره الموصليون حتى اليوم ، كأن رحيلهما تاريخ من التاريخ .

أما رحيل الاول ، فقد كان يوم حزن بالغ والم شديد ، شيعه المشيعون بالعبرات والزفرات ، واجتمع فى جنازته القاصى والدانى، واعلن الحداد غير الرسمى على وفاته ولا يزال ذكره الحسن يعطر المجالس.

أما رحيل الثانى ، فقد كان يوم فرح بالغ وانشراح عميم ، حضر الناس جميعا موعد شنقه ، فأخرج روحه على أصوات الزغاريد والتهاليل ولا يزال ذكره السىء على كل لسان .

ولم يقض وحده شنقا حتى الموت بل أخذ زوجته معه أيضا ، اذ شاركته مصيره المفجع شنقا حتى الموت .

كان اسم الاول الحاج خطاب أحمد ، وكان اسم الثانى عبود .

— ٢ —

تقلب الحاج خطاب بين النعمة وشظف العيش ، وبين اليسر والعسر ، ولكنه صبر على العسر وشكر على اليسر .

كان تاجرا ينقل الاغنام والابقار من الموصل الى حلب ، وقد تمتد مسيرته الى الاسكندرونة والاسكندرية ، وحين يبيع أغنامه وأبقاره يشترى بالمال اقمشة وصابونا وينقلها من أرض الشام أو مصر الى العراق .

وصادف مرة فى رحلته من الموصل الى حلب ، ان أصيبت ماشيته بوباء من تلك الامراض المعدية التى تصيب الماشية كالوباء ، فعاد من رحلته لا يملك قوت يومه .

وصادف مرة فى طريق عودته من أرض الشام الى العراق ، أن هاجمه قطاع الطرق ونهبوا أمواله وبضاعته، فعاد أدراجه وهو لا يملك شروى نقير .

ولكن مروءة الناس حينذاك ، لم تكن كمروءتهم اليوم ، فقد حدث أن الحاج خطاب كان يطوى هو وأهله فى بيته ، وهو فى عزلته يتجرع الغصص ، ولكنه كان دائبا على شكر الله . حدث أن طرق عليه بابه ، فاذا برجل من أصدقائه يقول له : خذ !

وتلمس الحاج خطاب ما أخذه ، فاذا هو صرة كبيرة من الليرات الذهبية العثمانية ، فبادر الى طرح الصرة أرضا ، ثم هرول الى القادم الذى دفع اليه المال ليلا ، ليعرف هويته ويشكر صنيعه فكان الحاج خطاب يخب ليلحق بالرجل ، وكان الرجل يخب حتى لا يعرف أحد هويته، وأخيرا لحق الحاج خطاب بصاحبه ، فاذا هو رجل من عائلة آل الجومرد عليه رحمة الله .

وعاد الحاج خطاب الى داره ، وحمل الصرة وآوى الى غرفته ، وحين استقر به المقام ، وفتح الصرة وجد فيها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية .

والذين كانوا يملكون خمس ليرات يومذاك ، كانوا يعدون من الأغنياء !!

ومضى الحاج خطاب الى السوق بهذا المال يشترى الأغنام والابقار ، ورحل بها الى سورية ، فربح ربحا وفيرا .

وعاد من سورية بالأقمشة والصابون ، فربح ربحا وفيرا .

وعاهد الله أن يشكر نعمته بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ، فبلغ فى ذلك شأوا بعيدا قارب به ما كان يبلغه السلف الصالح من المنفقين أموالهم فى سبيل الله .

— ٣ —

وكان عبود شابا فتزوج بامرأة سوء ، شجعته على السرقة ، وحثته على طلب المال الحرام .

سرق أول أمره بيض دجاج الجيران ، ثم سرق دجاجاتهم .

وتطورت سرقته من البيض والدجاج الى الأثاث والمتاع ، ثم الى سرقة خزائن المال .

وكان يعتمد على نفسه في أول أمره ، ثم أصبح رئيسا لعصابة من اللصوص ، تقطع الطرق ، وتعتدى على الآمنين ، وتهاجم البيوت في الليل .

وفى يوم من الأيام ، خطط للسطو على دار جاره الحاج خطاب ، وكان الأمر ميسورا بالنسبة له ولعصابته ، اذ لم يكن بين دار الحاج خطاب وداره غير حائط قصير ، يجتازه هو وعصابته بسهولة حين يريدون .

وكان الحاج خطاب قد عاد من سورية بتجارته الرابحة ، وكانت أخبار أرباحه الكبيرة حديث الناس جميعا ، فقال عبود لرجاله : لا بد أن نبادر الى أخذ أموال الحاج خطاب قبل أن يبددها على الفقراء .

— ٤ —

كان يوما من أيام الشتاء القارص وكان القمر فى المحاق ، فلما انتصف الليل ، اجتاز عبود وعصابته الحائط بين داره ودار الحاج خطاب ، فحلوا فى سطح المنزل ، وأخذوا يترقبون الفرصة السانحة للنزول من السطح الى داخل الدار .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن بالذاكرين الله ، وهم يرددون كلمات الذكر بخشوع .

وانتظر عبود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر .

وعاد عبود ورجاله من حيث أتوا ، وأزمعوا أن يعودوا الكرة فى اليوم التالى .

وعادوا مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ، وهم يجدون مجلس الذكر حافلا ، وكان عدد الذاكرين يزداد كل يوم .

واخيرا قررت العصابة ألا تعود الى دار الحاج خطاب ، لأن مجلس الذكر يمنعهم من تحقيق مآربهم .

وبعد شهر حل موسم الربيع ، وجاء مع الربيع الخير والبركة .

وقدم رعاة أغنام الحاج خطاب بالسمن واللبن ، فوزع شطرا منه على الجيران ، وكان لعبود من هذا الخير نصيب .

وجاء عبود شاكرا للحاج خطاب هديته ، وفى أثناء الحديث ، قال عبود : يا حاج خطاب ! أتعقد فى بيتك كل يوم مجلسا للذكر ؟

وقال الحاج خطاب : لم أعقد فى بيتى مجلسا للذكر منذ سنين .

وقال عبود : ولكننى رأيت بعينى هذه المجالس تعقد كل يوم .

وقال الحاج خطاب : سبحان الله ! هل رأيت تلك المجالس بعينك ؟

وقال عبود : الآن حصحص الحق .. ثم حدثه بمحاولته سرقة داره ، وما رآه بعينه .

وقال الحاج خطاب : الحمد لله .. (ان الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور) .

ومضى عبود على وجهه كمن أصابته لوثة يردد : أنا رأيت مجالس الذكر بعينى ؟ كيف !! وقال لأصحابه : لقد رأينا مجالس الذكر ، والحاج خطاب تقى يكتم تقواه .

واجتاحت البلاد العربية موجة الغلاء الفاحش فى السنوات الاخيرة

من سني الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) .

وأصبحت الحنطة مفقودة ، وأصبح سعر الوزنة (ما يسوى ١٣ كيلوغراما تقريبا) بثلاث ليرات ذهبية .

وجاع عبود وجاعت زوجته ، فقد بدد المال الحرام الذي ربحه من السرقات والميسر والخمر وما يتبع الميسر والخمر .

وشجعته زوجته على خطف الاطفال وذبحهم ، فخطف العديد منهم وذبحهم وأكل لحمهم .

وكشف أمره بعد حين ، فحوكم وحكم عليه وعلى زوجته بالشنق حتى الموت .

وأذاعت الحكومة القائمة حينذاك نص الحكم على عبود وزوجته وموعد تنفيذه ومكان التنفيذ .

وجاء الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا موت المجرم السفاح ، وهم في فرح غامر وسرور عظيم .

وقيل لعبود قبل تنفيذ حكم الاعدام عليه : ما هي آخر رغباتك في الحياة لنحققها لك ؟

قال : أن أقبل لسان زوجتي .

وأمام مشهد من الناس أخرجت زوجته لسانها ليقبله عبود ، فأخذ اللسان بفمه وقضمه بأسنانه حتى قطعه بين صراخ الزوجة وصخب الجماهير .

وقال عبود : قطعت لسانها قبل موتي وموتها ، لأنه سبب نكبتي ، لقد حثتني على الجرائم الصغيرة ، وشجعتني على الجرائم الكبيرة ، حتى أصبحت مجرما خطيرا .

واذا كانت حياتي كلها شرا ، فان قطع لسان زوجتي على مشهد من الناس فيه عبرة ، لعل فيها بعض الخير .

وبعد لحظات كان عبود وزوجته في عداد الاموات ، وكانا يتمرجحان على حبال المشنقة عبرة لمن يعتبر .



للدكتور احمد على المجدوب

بالرغم من أن النتائج المتماثلة للبحوث العديدة التي أجريت فى الخارج سواء على الظاهرة الاجرامية بصفة عامة ، أو على نوع معين من الجرائم،تقول إنه ليست هناك علاقة بالمرة بين الجريمة والدين باعتباره عاملا مانعا ، أو على الاقل مخففا من شدة الميل الى الجريمة ، وهو ما حرص كل العلماء والباحثين فى مجال الجريمة على ابرازه والتركيز عليه ، الى الحد الذى جعلهم يستبعدون الدين من بين العوامل التي يمكن الاستعانة بها لمواجهة الظاهرة الاجرامية ، وتجريده من تلك الاهمية التي أضفوها على غيره من الوسائل والاساليب التى اقترحوها ، سواء للوقاية أو للعلاج من الاجرام ، فان قبول هذه النتائج على علاتها والترويج لها فيما ينشر من كتب عن الجريمة فى بلادنا ينطوى على خطورة كبيرة ، فضلا عما فيه من خطأ منهجى واضح ، لأن التشابه الظاهرى بين المشاكل لا يعني وجود تشابه مماثل بين الاسباب التى أدت اليها أو العوامل التى ترتبت عليها ، وبالتالى تشابه وسائل مواجهتها وأساليب علاجها ، مثال ذلك ظاهرة العلاقات الجنسية المثلية أو الشذوذ الجنسى فهى موجودة فى دولة متقدمة جدا كبريطانيا حيث تسود قيم وأنماط من العلاقات تختلف كل الاختلاف عما هو سائد فى بعض الدول حيث توجد نفس الظاهرة ، وبالتالى فانه لا يمكن القول بأن الاسباب فى كلتا الحالتين واحدة وان العلاج واحد كذلك .

والملاحظ على ما ينشر من تقارير عن البحوث التى أجريت فى البلاد الاسلامية عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية ان الباحثين يعتمدون فى تفسيرهم للبيانات الاحصائية ولحصيلة ملاحظاتهم الميدانية على ما سبق أن نشر من تقارير عن بحوث مماثلة أو حتى مشابهة أجريت فى الخارج ، فضلا عن اثر الخلفية الفكرية لكل منهم ، وهى فى الغالب خلفية غربية ، وأحيانا خلفية شرقية وذلك لاستخلاص دلالات والوصول الى استنتاجات لا يراعون فى استخلاصها والوصول اليها ، لا الفروق الثانوية فحسب بل ولا الفروق الاساسية أيضا بين الواقع الاجتماعى فى البلاد الاسلامية والواقع الاجتماعى فى الدول الغربية ولذلك تأتى تحليلاتهم غير صحيحة رغم مظهرها المنطقى .

ولو أنهم وضعوا حدا للثقة المبالغ فيها فيما يقرأونه من كتب الغرب وبحوثه ، والتى لا يفرقون فيها بين الغث والثمين من الاعمال والدراسات لوصلوا الى نتائج أفضل بكثير مما يصلون اليه عادة ، نظرا لأن الشك ، وهو أمر له مبرراته العديدة فى مجال العلم ، سيجعلهم أكثر اصرارا على معرفة الحقيقة ، وأشد رغبة فى استجلاء الأمر ، فلا يكتفون بالتحليلات السريعة والتفسيرات المتعجلة استنادا الى الاعتقاد الخاطىء بأن ــ التشابه بين المشكلات يعنى التشابه بين العوامل والاسباب وأيضا بين وسائل العلاج واساليب المواجهة .

وهذا الحكم ينطبق الى حد كبير على تحليلات الباحثين المسلمين للعلاقة بين الدين والجريمة ، وتفسيرهم للدين كعامل مانع ، أو على الأقل واق من الاجرام ، فقد اكتفوا ، فى البحوث التى أجروها ، بالتفسيرات التى وصل اليها بعض الباحثين الغربيين ، كما استخدموا نفس أساليبهم فى التحليل والوصف ، دون أن يراعوا أبسط المبادىء العلمية ، فضلا عن الفروق الجوهرية بين الظروف الاجتماعية المختلفة والتركيب الاجتماعى فى البلاد الاسلامية وغيرها ، فسارعوا الى القول ، مقلدين زملاءهم الغربيين ، بأنه لم يتبين وجود علاقة من نوع ما بين الدين والجريمة ، فهو لا يلعب أى دور فى المنع من الجريمة أو الوقاية منها ، وأيدوا رأيهم هذا بما ورد فى كتب العلماء الغربيين من نتائج فى هذا الصدد ، ناسين أو متناسين أن الدين الذى عناه هؤلاء العلماء ليس هو نفس الدين الذى تدور حوله بحوثهم .

فالملاحظ أن الباحثين العرب والمسلمين ينقسمون ازاء الدين الى فريقين أحدهما ينسى فى ترديده لآراء علماء الغرب فى الدين الاختلافات الاساسية بين الاسلام وغيره فى غمرة انبهاره بهذه الآراء من ناحية ، ولجهله التام أو المحدود بالشريعة الاسلامية من ناحية أخرى ، مما يجعله عاجزا عن أدراك ما بينها وبين غيرها من اختلافات رئيسية وفروق أساسية .

فى حين أن الفريق الثانى يتناسى عن عمد الاختلافات التى بين الدين الاسلامى وغيره من الأديان ، ويصر على تعميم الاحكام التى وصل اليها علماء الغرب والشرق على السواء بشأن الدين ويمدها الى الدين الاسلامى بالرغم من أن هذا التعميم

يتعارض بشكل صارخ مع المبادىء العلمية الاساسية . ولكنه التقليد الأعمى للغرب ، والمحاكاة البلهاء لكل ما يصدر عنه ، الصادرين عن الجهل حينا وعن الانتهازية والنفاق والوصولية غالبا .

لذلك يكتفى الباحثون لدينا بالبيانات البسيطة عن الظاهرة دون أن يتتبعوها فى علاقتها بغيرها من العوامل والظواهر الأخرى ، فلا يستخدموا ما يسمى بالجداول المركبة واذا استخدموها فبالنسبة للعلاقة بين الجريمة والدين فقط دون العلاقة الأوسع التى تشمل الجنس والسن والتعليم وغيرها مما يتفاعل بشكل ملحوظ مع الدين ، وهو تصور معيب ينبغى تداركه والعدول عنه ، فالمعروف أن فهم الدين واستيعاب أحكامه والالتزام بمبادئه وقيمه يختلف باختلاف الجنس والسن والتعليم ، مما يستوجب وضع جداول ارتباط تشمل هذه الامور جميعا حتى يمكن الوصول الى تحديد للعلاقة بين الدين والجريمة ، فضلا عن ملاحظة الفروق بين الدين الاسلامى وغيره ، واهمها بلا جدال أن الاسلام ليس مجرد مبادىءاخلاقية وتعاليم دينية وعبادات فحسب ، بل هو شريعة كاملة تتناول كافة صور العلاقات الانسانية والاجتماعية سواء بين الافراد وبعضهم بعضا أو بينهم وبين الجماعة فضلا عن اهتمام الاسلام بالانسان أولا وقبل اى شىء آخر فسعى الى أن يوفر له انسانيته ويضمن له كينونته ازاء الجماعة ، فجعل اهتمامه موجها فى المكان الاول الى جعله اجتماعيا يعرف ماله وما عليه وذلك بتنمية الاحساس بالمسؤولية لديه نحو الجماعة وتجريده بقدر الامكان من أنانيته وحبه لذاته واحلال الاحساس الغيرية لديه والرغبة فى التضحية وانكار الذات دون قهر أو اكراه ، وانما بالاقتناع والفهم والرغبة الصادقة . وقد سبق جهد الاسلام فى هذا المجال جهده فى مجال العقاب ، فهو يربى الفرد ويجعله انسانا ثم بعد ذلك يفرض عقوبات رادعة على من يخرج على ما وضعه من ضوابط وما فرضه من حدود قصد بها حماية الجماعة وتوفير الأمن والطمأنينة لأفرادها حتى لا تستحيل الحياة الى غابة يسودها منطق القوة الغاشمة ويستشرى فيها الفساد والانحلال والظلم والبغى .

لذلك فان الاسلام عكس غيره من الأديان لم يتضمن تحديدا للجرائم فحسب ، بل تضمن أيضا المبادىء الاساسية فى اجراءات التحرى والتحقيق والمحاكمة ، مما يمكن معه القول أن مد الحكم الذى اصدره علماء الغرب على الدين الى الدين الاسلامى يعد عملا تعسفيا يفتقر الى التبصر والحكمة ، بل يمكن القول بأنه لا يصدر عن اعتبارات علمية بالمرة .

والملاحظ أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة فى المجتمعات الاسلامية أسهل من دراستها فى غيره من المجتمعات ، لا لشىء الا لوضوح التأثيرات التى يزاولها الدين الاسلامى فى المجتمعات التى تدين بالاسلام ، إما بصفة عامة وفى كافة الظروف ، كما فى المجتمعات التى تطبق الشريعة الاسلامية واحكامها ، أو بصفة خاصة وفى ظروف معينة ، كما فى المناسبات التى تسود فيها روح الاسلام مثل شهر رمضان .

وهناك تأثيران أساسيان واضحان يزاولهما الاسلام ، وتبدو وعلاقته فيهما بالجريمة أوضح ما تكون سواء فى الجانب السلبى أو فى جانبها الايجابى .

ومصدر التأثير الاول ، الاسلام كدين يدعو الى الفضائل وينفر من الرذائل ، ويحض على فعل الخير ونبذ الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويربط الانسان بهذه القيم ربطا دائما بما يمارسه عليه من تأثير يستمر خلال اليوم فضلا عن العام ، ويتمثل فى الصلوات الخمس ثم الزكاة والصوم والحج ، وقراءة القرآن وسماعه وهى لا تكاد تنقطع طول اليوم بما تتضمنه من تذكير دائم بمبادىء الدين وأحكامه وضوابطه وأوامره ونواهيه وهو أمر لا يشبه فيه مجتمع آخر المجتمع الاسلامى ، مما يجعل من السهل قياس ورصد اثر الدين فى سلوك الأفراد وعلاقاتهم وبالتالى تحديد العلاقة بين الدين والجريمة . أما مصدر التأثير الثانى فهو العقوبات الرادعة التى قررتها الشريعة الاسلامية لمن يخرج على أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها وهو خروج ينم عن فساد جدير بالمواجهة الحازمة وانحراف تميز بالردع لما يؤدى اليه من اضرار تصيب الجماعة والافراد وما ينطوى عليه من أخطار تهدد أمنها وتنال من سلامتها وتتهدد العلاقات المستقرة بين أفرادها .

ويمكن استخدام المنهج الاحصائى فى دراسة العلاقة بين الدين الاسلامى والظاهرة الاجرامية فى المجتمعات الاسلامية بهدف التحقق من صحة الفرض القائل بأن للدين اثرا مانعا من الانحراف والاجرام ، وذلك بطريقتين : الاولى يتم فيها اجراء حصر شامل لكل ما وقع من جرائم فى دولة تطبق الشريعة الاسلامية لمدة خمس سنوات على الأقل ، ثم تفرغ البيانات الرقمية فى جداول بحسب تصنيف للجرائم يتم وضعه على غرار اكثر التصنيفات العلمية شيوعا حتى يسهل اجراء المقارنة بين هذه البيانات ومثيلتها فى دولة أو عدة دول لا تطبق الشريعة الاسلامية رغم انها دول يدين أغلب رعاياها بالاسلام ، فالعامل المتغير الوحيد بين الدول التى تجرى المقارنة بينها هو تطبيق الشريعة الاسلامية ، بينما تثبت العوامل الاخرى . وذلك لمعرفة اثر هذا العامل فى المشكلة وهل هو سلبى أم ايجابى .

كذلك يمكن بواسطة نسبة اجمالى الجرائم التى ارتكبت الى اجمالى عدد السكان ، معرفة ما يسمى بالمعدل وهو نسبة مرتكبى الجرائم الى كل مائة الف من السكان .

أما الطريقة الثانية ويستخدم فيها المنهج الاحصائى أيضا ، فيقصد بها التحقق من صحة الفرض نفسه بادخال العامل المتغير أى الدين ، خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت العوامل الأخرى وهذه الدراسة تجرى على نفس المجتمع ولكن خلال فترتين زمنيتين مختلفتين أحداهما يظهر فيها أثر الدين ، مثال ذلك شهر رمضان ، والثانية لا يظهر فيها هذا الأثر كبقية شهور السنة ثم يتم حصر الجرائم التى وقعت فى الفترتين واجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها خلال الفترة التى كانت المشاعر الدينية فيها لدى الناس فى حالة نشاط وهل كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أم نحو الانخفاض أم أنه لم يختلف عن الاتجاه العام طول العام .

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل فى الشهور الأخرى لمعرفة ما اذا كان قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا .

ولقد حاولت أجراء مثل هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق منها

بالمقارنة بين البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فى بلدين اسلاميين أحدهما يطبق الشريعة الاسلامية والآخر لا يطبقها ولكن للأسف الشديد اعترضت المحاولة عدة عقبات ، يمكن التغلب عليها اذا رغب المسئولون فى الدول الاسلامية وخاصة التى تطبق الشريعة الاسلامية فى تقديم التسهيلات اللازمة لاجراء هذه الدراسة وتذليل الصعوبات التى تحول دون المضى فيها . وأهمها جميعا تقديم البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التى ارتكبت فيها خلال فترة زمنية معينة أو تمكين المسئولين عن الدراسة من اجراء حصر لما يقع من جرائم . ومما لا شك فيه أن وجود ادارة احصائية تختص بتسجيل ما يقع من جرائم أصبح من المرافق الاساسية فى وزارات الداخلية والعدل وغيرهما مما يتصل نشاطه بالظاهرة الاجرامية ، فضلا عن المؤسسات العقابية التى تستعين بالاجهزة الاحصائية والبيانات الاحصائية فى العديد من العمليات كالتفريد العقابى والتصنيف وغيرها .

الا انه لوحظ أن الكثير من الدول الاسلامية قد استجلبت أحدث الاجهزة فى شتى المجالات ونسيت أن تستجلب الاجهزة الاحصائية رغم فوائدها العديدة ، وهناك بعض الدول التى استجلبت هذه الاجهزة ولكنها لم تستخدمها الاستخدام المفيد والنافع واكتفت بالنشر عنها فى الصحف والمجلات فى المناسبات التى ينشط فيها الحديث عن العصرية والتقدم والأخذ بالاساليب العلمية .

وهناك بعض الصعوبات الناشئة عن اختلاف الظروف السائدة فى الدول الاسلامية وأهمها الاختلاف المعروف بين السنين الشمسية والسنين القمرية والذى يترتب عليه عدم التطابق بين الشهور الهجرية والشهور الميلادية والسريانية مما يجعل المقابلة بين الشهور صعبا ولكنه ليس مستحيلا طالما أنه يمكن تحديد ما يقابل شهر رمضان من الشهور الميلادية أو السريانية فى كل عام .

وربما يأخذنا الحماس فنسارع الى اصدار حكم تعسفى بأن الدين الاسلامى له تأثير مانع من الجريمة يبدو بوضوح فيما نلاحظه من اختلاف شديد بين معدلات الجريمة فى الدول الاسلامية والدول الاوروبية مثلا حيث ترد الينا الانباء كل يوم بالمزيد والجديد بل والغريب من الجرائم كالقتل الجماعى والشذوذ الجنسى والسطو والاغتصاب وجرائم العنف بصفة عامة ، مما جعل الجرائم تزيد فى كل عام بنسبة ١٠ ٪ عما كانت عليه فى العام السابق ولكن مثل هذا الحماس ضار اكثر مما هو نافع نظرا لما هو معروف من وجود مؤثرات أخرى غير الدين يمكن أن تخفض معدل الجريمة كالتخلف مثلا ، فالمعروف أن الجريمة تتجه اتجاها طرديا مع التحضر ، بمعنى أنه كلما زاد التحضر زادت الجريمة ومن ثم فان انخفاض نسبة الجرائم أو ضعف معدلها لا يعنى أن الدين هو السبب .

كذلك قد تتدخل عوامل جانبية تؤدى الى خفض معدلات الجريمة خفضا ظاهريا فقط مثال ذلك ضعف الشرطة وهبوط مستوى رجال الأمن الذى يؤدى الى عدم الكشف عن الجرائم وضبط مرتكبيها فتظهر الاحصاءات غير متضمنة كل ما وقع من الجرائم وتدخل نسبة كبيرة من الجرائم فى دائرة الظل أو ما يسمى بالارقام السوداء أو المظلمة

وهى مشكلة تعانى منها كل الدول بصور متفاوتة فى خطورتها مما جعل المختصين يعقدون المؤتمرات وينظمون الندوات من أجل دراستها والتعرف على أسبابها والعوامل الكامنة وراءها .

لم يبق اذن متاحا سوى اللجوء الى الطريقة الثانية وهى الدراسة الاحصائية للبيانات الرقمية للجرائم التى ارتكبت فى فترتين مختلفتين من حيث ظهور أثر الدين فى احداهما وعدم ظهوره فى الأخرى وبمعنى أصح اجراء مقارنة بين الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان والجرائم التى ارتكبت فى غيره من الشهور على مدار السنة وذلك خلال عدد من السنين حتى تتمكن من متابعة أثر العامل المتغير وهو الدين خلال فترة طويلة نسبيا واستبعاد أثر أى عامل من العوامل غير المتوقعة التى قد تطرأ فى عام دون آخر ، كالحرب مثلا حيث تبين حدوث انخفاض كبير وواضح فى نسبة الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان ١٣٩٣ أثناء حرب أكتوبر سنة ١٩٧٤ مقارنة مع ما سبق ارتكابه من جرائم فى شهر رمضان من الاعوام السابقة ، مما يدل على أن الحرب كان لها تأثير لا شك فيه فى هذا الانخفاض غير العادى ، بعكس ما هو معروف عن أثر الحروب فى ارتفاع معدلات الجريمة فى دول العالم ، مما يمكن رده مرة أخرى الى الدين الذى تفاعل تأثيره المكثف خلال شهر رمضان مع تأثير الحرب التى بعثت فى ذاكرة المسلمين ذكريات تلك الحروب المقدسة التى خاضوها دفاعا عن دينهم وعقيدتهم وذودا عن كرامة الانسان المهدرة فى كل مكان وشرفه المهان أينما كان .

وقد أجريت الدراسة على الخمس سنوات الواقعة بين سنتى ١٩٦٨ و ١٩٧٢ الموافقتين لسنتى ١٣٨٨ و ١٣٩٢ هجرية وبطبيعة الحال ، فانه نظرا لاستخدام مصر للتقويم الميلادى فان الاحصاءات الجنائية تصدر بحسب الشهور الميلادية التى لا تتطابق حتما مع الشهور الهجرية ، مما يجعل شهر رمضان يقابل ثلاثين يوما يقع بعضها فى شهر ميلادى وبعضها الآخر فى شهر آخر ، مثال ذلك شهر رمضان ١٣٨٩ هجرية فثلثاه يقعان فى شهر نوفمبر والثلث الأخير يقع فى شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩ مما يسبب صعوبة عند محاولة تحديد عدد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان فهى تستخلص مما ورد بالتقارير الاحصائية منسوبا الى الشهور الميلادية ، وفى هذا المثال الذى ذكرناه حالا فان تحديد الجرائم التى ارتكبت فى شهر رمضان سنة ١٣٨٩ يتم بضم ثلثى الجرائم التى ارتكبت فى نوفمبر الى ثلث الجرائم التى ارتكبت فى ديسمبر بكل ما ينطوى عليه ذلك من مخاطر ناشئة عن أن الجرائم ليست عملا منتظما وثابتا يقع على مدار أيام الشهر بنسبة ثابتة ومتساوية بحيث يتساوى ما يقع فى كل اسبوع من أسابيع الشهر مع ما يقع فى غيره ، وانما تتدخل عوامل واعتبارات عديدة تجعل ذلك التساوى متعذرا ان لم يكن مستحيلا مما يجعلنا ننصح فى حالة اجراء دراسة واسعة أن يتم حصر الجرائم بحسب الشهور الهجرية وليس الميلادية تلافيا للصعوبة المشار اليها وهى تتعلق باجمالى الجرائم ، وهناك صعوبة أخرى تتعلق بتصنيف الجرائم فهناك أنواع من الجرائم ينخفض عدد ما يقع منها فى شهر رمضان بينما

يرتفع عدد ما يقع من انواع اخـرى بحسب ما ينطوى عليه هذا النوع او ذلك من تعارض مع الصيام بصفـة خاصة ومع الدين بصفة عامة ، ومن ثم فان تحديد نسبة ما وقع من هـذه الانواع فى الجزء من الشهر الميلادى المقابل لشهر رمضان يلقى صعوبـة واضحة وفضلا عن ذلك فان التعرف على أثر الدين فى المنع من الجريمة لا يمكن ان يتم باليقين المطلوب نظرا لاستحالة الفصل بين العوامل المختلفة سواء التى تؤدى الى الاجرام أو التى تمنع منه فهى متداخلـة متفاعلـة لا تعمل بمعزل عن بعضها بعضا .

ومع ذلك وبالرغم من هذه المحاذير ومن غيرها مما تضيق عنه هـذه الدراسة المبسطة ، فاننا قد مضينا فى محاولتنا تقصى أثر الدين فى المنع من الاجرام أو الحد منه فتبين مـن التحليل الاحصائى للبيانات الخاصة بالجريمة ومع الأخذ بعين الاعتبـار العوامل الأخرى التـى تلعب دورا سلبيا او دورا ايجابيا ان الدين يلعب دورا واضحا بالنسبة لبعض الجرائم كالجرائم الجنسية أو جرائم الآداب ، مثل الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضـح العلنـى والتحريض على الفسق ، وكذلك جرائم القذف والسب كما تنخفض بنسبة أقل جرائم السرقة والقتل ، فى حين لا تنخفض جرائـم الضرب والجرح بل قد تزيد وخاصة المشاجرات البسيطة المعدودة مـن الجنح وجرائم التزييف والحريق العمد وتعاطى المخدرات والاتجار فيها .

والملاحظ أن الجرائم التى تنخفض نسبة ما يقع منها ، تتعارض بشكـل واضح مع الدين ، بل ان أغلبها مما يدخل فى الحدود المنصوص عليهـا مباشرة فى الشريعة كالزنا والجرائم الجنسية بصفة عامة والسرقة والقتل والقذف والسب .

اما الجرائم التى لا تنخفض نسبتها وكذلك التى تزيد فانها من وجهة نظر عامة الناس لا تتعارض بشكل مباشر مع الدين ولا مع الصيام وخاصـة التزييف وتعاطى المخدرات والاتجـار فيها التى يرون أنها ليست محرمـة بعكس الخمر التى حرمها الله ومع ذلك يبيحها ولاة الأمر .

اما المشاجرات البسيطة فبالرغم من تعارضها مع الدين الذى نهى عن العدوان بكل درجاته الا أنها تجد مـا يبررها عند الجهل فى حالة الصائـم العصبية والضيق الذى ينتابه نتيجة الجوع .

وبصفة عامة فان اجمالى الجرائم التى ترتكب فى شهر رمضان يقـل كثيرا عن اجمالى ما يقع منها فى غيره من الشهور ، كذلك فان نسـبة ما يقع فى شهر رمضان الى إجمالى ما يقع فى العام كله من جرائم يقل بشكل ملحوظ عن نسبة ما يقع فى غير من الشهور ممـا يدل على أن الدين يلعب دورا هاما فى المنع من الجريمة والوقاية من الاجرام بعكس ما وصل اليه علماء الغرب بالنسـبة لغيره من الأديان حيث بينت لهـم بحـوثهم انها لا تلعب مثـل هـذا الدور .

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين فى مكافحة الجريمة ومنعها باعتباره عاملا هاما بل أهم العوامل بلا جدال على شريطة أن يكون توظيفه لهـذه الغاية مدروسا بشكل جيد وجاد حتى لا ينقلب الوضع ونسىء اليه بدلا من ان نحسن الى انفسنا به ، فلا تزال نفوس الناس فى البلاد الاسلاميـة تنطوى على الكثير من الخير والحب والايمان العميق .



بسم الله الرحمن الرحيم

((إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر)) .

(صدق الله العظيم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أني ان علمت ليلة القدر فبماذا أدعو فيها ، فقال : قولي : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني) .

الصوم فى الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على رأس سرية فى البحر فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه ؟ فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه انه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

خير زاد

خطب ابو ذر عند الكعبة قائلا :

اليس اذا اراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ، فقالوا : نعم ، فقال : فسفر الآخرة ابعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

ضيف الله

دعا الحجاج اعرابيا لياكل معه ، فقال الاعرابى : دعانى من هو خير منك فلبيته ، فقال الحجاج : من هو ؟ قال الأعرابى : ربى دعانى للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الأعرابى : اتضمن لى الحياة لغد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال : كيف أبيع حاضرا بآجل . فقال الحجاج : انه طعام لذيذ طيب . فقال : والله ما طيبته أنت ولا طبيه طاهيك ، وانما طيبته العافية ، فقال الحجاج : صدقت ولكن اليوم شديد الحر ، فقال ، وانا صمت ليوم اشد منه حرا ، فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابى : (وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) . فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

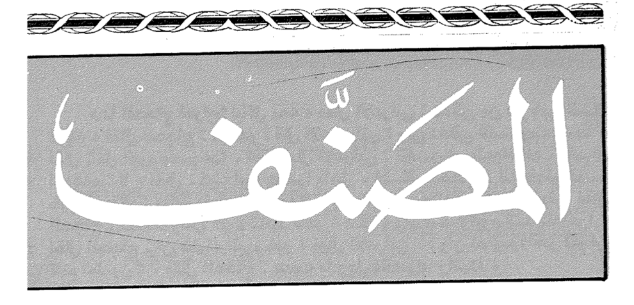
السلف الصالح فى رمضان

١ ــ كان عبد الله بن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا لم يجد أو منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة .

٢ ــ جاء سائل الى الإمام أحمد وكان صائما فدفع اليه رغيفين كان قد أعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائما .

٣ ــ كان أبو حنيفة يختم في رمضان ستين ختمة : ختمة بالليل وأخرى بالنهار وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا دخل العشر الأواخر فقلما يستطيع أحد أن يكلمه .

نظرات في الحديث



المصنف

للدكتور محمد عبد الرءوف

لا زلنا بصدد الكلام عن المرحلة الثانية من مراحل قيد الحديث وكتابته تلك المرحلة التى سميناها « مرحلة المصنف أو التصنيف » ، أى جمع الأحاديث والآثار فى كتاب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه ، وقد درسنا نموذجين من المصنفات فى المقالين السابقين من هذه السلسلة وهما « مجموع الامام زيد » و « موطأ الامام مالك » ، ونتحدث فى هذا المقال عن نموذج ثالث كان من ثمرات هذه المرحلة ، وهو : « المصنف » للامام عبد الرزاق ، وبه ينتهى الحديث عن مرحلة المصنفات ان شاء الله .

وكتاب « المصنف » الذى نحن بصدد الحديث عنه موسوعة حديثية جليلة ، تحتوى على اكثر من واحد وعشرين الفا من الأحاديث والآثار والعجيب انه على الرغم من أن الكتاب ثروة فقهية وتاريخية رائعة وانه مصدر حديثى رائد مبكر ، وبالرغم من جلال المؤلف الامام وعلو قدمه ، فان « المصنف » لم يحظ بنصيب يذكر من العناية والدراسة من جانب الاجيال الماضية اذا قورن بما لقى كتاب « الموطأ » ، وما قدر للمجاميع التى دونها بعد من درس على يد صاحب المصنف وحفظ عليه وروى عنه من أمثال الامام أحمد وصاحبى الصحيحين رضى الله عن الجميع ، بل قد ظلت مخطوطات « المصنف » مدفونة فى خزائن الكتب حتى أذن الله تعالى

للإمام عبد الرزاق الصنعاني

ببمث الكتاب فى السنوات الأخيرة على يد المجلس العلمى الذى نشره عن طريق دار القلم ببيروت فى احد عشر مجلدا كبيرا ، ظهر أولها عام ١٣٩٠ هـ ، وتم طبع آخرها فى شهر رمضان المعظم عام ١٣٩٢ هـ ، وذلك بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الذى ابلى بلاء حسنا وبذل جهدا مشكورا فى تحرير الكتاب وضبطه وتخريج أحاديثه والتعليق عليها وترقيمها ، جزى الله الجميع خير الجزاء .

ولقد سبق أن التقينا بالامام عبد الرزاق صاحب هذا « المصنف » ، وذلك أثناء مناقشتنا اسناد « صحيفة همام بن منبه » ، فقد رواها عبد الرزاق عن شيخه « معمر بن راشد » عن همام بن منبه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، واسم مؤلفنا كاملا هو : عبد الرزاق بن همام ابن نافع الحميدى الصنعانى ، ولد باليمن عام ١٢٦ هـ وتوفى فى شوال عام ٢١١ باليمن عن خمسة وثمانين عاما (١) ، وقد كف بصره قبل وفاته ،

---

(١) « وفيات الاعيان لابن خلكان » بتحقيق المرحوم الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثانى ص ٣٧١ ، و « هدى العارفين » لاسماعيل باشا البغدادى (١٩٥١) الجزء الاول ص ٥٦٦ .

وتسميته « الصنعاني » نسبة الى صنعاء بقلب الهمزة نونا على غير قياس كما نسبوا الى بهراء ، فقالوا بهراني .

وكان الامام عبد الرزاق من ذوى الورع والتقوى ، ومن حكمه قوله : « من يصحب الزمان يرى الهوان » ، وقد سمع وهو ينشد :

فذاك زمان لعبنا به

وهذا زمان بنا يلعب (٢)

ومن مؤلفات الامام عدا كتاب « المصنف » : « تزكية الارواح عن مواقع الفلاح » و « تفسير القرآن » و « السنة فى الفقه » و « كتاب المغازى » (٣) .

بدأ عبد الرزاق يدرس الحديث ويحفظه عندما بلغ العشرين من عمره فلزم معمر بن راشد لسبع سنوات وذكر أنه كتب عنه عشرة آلاف من الاحاديث (٤) ، وكان معمر من علماء البصرة ثم رحل عنها الى اليمن ، وكان من المبكرين فى جمع الأحاديث مصنفة مبوبة حتى قيل أن مصنفه « الجامع » كان أول المصنفات ، ولما رحل عبد الرزاق الى الشام ثم بلد الله الحرام بقصد التجارة وأداء الفريضة وطلب العلم التقى بعلماء البلاد التى حل بها ودرس على يدهم وحفظ الكثير عنهم من أمثال الأوزاعى والثورى وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذى كان من الرائدين فى كتابة المصنفات واسم مصنفه « كتاب السنن » ، ويقال أيضا إنه أول ما دون من المصنفات المبوبة (٥) ، وبعد أن حفظ عبد الرزاق واستوعب ما قدر له بدأ يروى ويعلم ويجمع ويدون ، وملأت سمعته الآفاق ، فهرع الى حلقة درسه طلاب نضجوا وبورك فيهم ونفع الله بهم من أمثال الامام ابن حنبل ويحيى بن سعيد والبخارى وغيرهم ، حتى قيل فى شأنه : « ما رحل الناس الى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا اليه (٦) » .

ويبدو أن الامام عبد الرزاق دون كتابه « المصنف » فى النصف الأخير من القرن الثانى للهجرة ، فقد سمعنا أن المؤلف بدأ يدرس الحديث وعمره عشرون سنة ، أى عام ١٤٦ هـ حيث

---

(٢) « وفيات الاعيان » .

(٣) « هدى العارفين » و « تذكرة الحفاظ » الجزء الاول ص ٣٣١ .

(٤) « ميزان الاعتدال » للحافظ الذهبى ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ .

(٥) قيل ان ابن جريج كان أول من صنف الحديث ، وقيل بل كان معمر بن راشد وقيل الربيع ابن صبيح وقيل بل كان سعيد بن عروبة ، والواقع أن هؤلاء المحدثين ومن نسب اليه هذا الشرف من غيرهم كانوا متعاصرين ولا يدرى تماما أيهم سبق الاخر ، فقد توفى ابن جريج عام ١٥٠ هـ ، ومعمر عام ١٥٣ هـ والربيع عام ١٦٠ هـ ، وسعيد عام ١٦٧ هـ .

(٦) « وفيات الاعيان » .

كان قد ولد في ١٢٦ هـ . كما أنه توفي عام ٢١١ هـ بعد فترة عاني فيها من ذهاب البصر واعتلال الذاكرة ، ولقد روى صاحب ميزان الاعتدال (٧) أن الامام أحمد فضله وقال في شأنه : « اتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » ، كما يروى قول البخارى عنه : « ما حدث عنه عبد الرزاق من كتاب فهو أصح » ، وعليه فالمصنف دون قبل المائتين وعبد الرزاق قوى البدن سليم البصر .

جمع الامام عبد الرزاق كتابه ودونه وسماه « المصنف » فدل بعنوانه على أنه مرتب ومبوب على ترتيب أبواب الفقه ، فقد قسمه الى كتب ، كل كتاب منها يحتوى على عدد من الأبواب يزيد عددها أو ينقص ، أولها كتاب الطهارة محتويا على ١٣٦ بابا ، وتلاه كتاب الحيض مشتملا على خمسة وعشرين بابا ، ثم كتاب الصلاة الذى يحتوى على نحو ثلاثمائة من الأبواب ، فكتاب الجمعة فكتاب العيدين فكتاب فضائل القرآن فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب العقيقة فكتاب الاعتكاف فكتاب المناسك فكتاب الجهاد فكتاب المغازى فكتاب أهل الكتاب فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب البيوع فكتاب الشهادات فكتاب المكاتب فكتاب الأيمان والنذور فكتاب الولاء فكتاب الوصايا فكتاب المواهب فكتاب الصدقة فكتاب المدبر فكتاب الاشربة فكتاب العقول فكتاب الفرائض .. وهكذا .

وبينما عنى الامام مالك صاحب « الموطأ » بعد جمعه اياه بتهذيبه وتشذيبه واختصاره ليقتصر فيه على ما رجح لديه ، يظهر أن الامام عبد الرزاق صاحب « المصنف » تركه على حال جمعه الأول ، لذلك قد يحتوى الكتاب على الصحيح والضعيف والسليم والسقيم ، ولكنه مع ذلك موسوعة قيمة جديرة بمزيد الفحص والدراسة لتقييم ما ورد به من حيث الصحة والسلامة ، ومقارنة ما احتوى عليه بما ورد فيما أعقبه من كتب الصحاح والسنن وحصر ما اتفقت معه في روايته ، ومبلغ خلافه معها ، الى غير ذلك من نقاط البحث المفيد .

وكتاب « المصنف » رغم حسن ترتيبه وجمال تبويبه فان مؤلفه يستطرد أحيانا فيدرج في الكتاب أبوابا قد يبدو أنها أجنبية في موضوعها عنه ، كما أنه قد يختلف احيانا مع الترتيب الزمنى ، ثم إن ترتيب الكتب التى قسم اليها الكتاب يختلف قليلا عن الترتيب المألوف في كتب الفقه والحديث الأخرى ، فنجده مثلا يستطرد في كتاب الصلاة فيأتى بباب عن « حسن الصوت » ، ويدرج

---

(٧) اسناد هذا الحديث هو نفس الاسناد روى به عبد الرزاق صحيفة همام بن منبه ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه والبيهقي في « السنن الكبرى » كلاهما من طريق عبد الرزاق .

بابا عن « ذكر القُصَّاص » فى كتاب الجمعة ، كما نراه يفصل بين كتاب العيدين وكتاب الجنائز بكتاب «فضائل القرآن » ، ويأتى بكتاب العقيقة عقب كتاب الصيام وقبل كتاب المناسك ، كما يأتى بكتاب البيوع بعد كتاب الجهاد والمغازى واهل الكتاب والنكاح والطلاق ، ويأتى بباب تزويج فاطمة رضى الله عنها فى كتاب المغازى بعد الأبواب التى ذكر فيها مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والأحداث التى تلت ذلك حتى مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن هذه أمور يسيرة لا تنقص من قيمة الكتاب واهميته .

وكسائر المصنفات الأخرى يحتوى مصنف الامام عبد الرزاق على الأحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من أحاديث موقوفة ومن أقوال وفتاوى منسوبة الى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ويكثر فى « المصنف » مراسيل التابعين من أمثال عطاء وقتادة ومجاهد والزهرى وابن سيرين ويكثر من روايات معمر عن قتادة وابن جريج عن عطاء ، وكثيرا ما يقول ابن جريج : « سألت عطاء » أو « سئل عطاء » عن كذا فأجاب بكذا ، وأحيانا يزيد عبد الرزاق بعد الرواية تفسيرا لكلمة أو توضيحا لعبارة ، وقد تكون هذه الزيادة من عنده ، وقد ينسبها لأحد شيوخه ، ويستعمل عبد الرزاق فى تحمله عبارة « عن فلان » أو « أخبرنا فلان » أو «قال فلان » ، ولم يستعمل لفظ « حدثنا » .

ولقد حاولت عد الاحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم فى « المصنف » فوجدتها تبلغ ثلاثة آلاف وبضع مئات ، أى ان عددها بين السدس والسبع من مجموع ما ورد بالكتاب كله وهو ٢١٠٣٣ من أحاديث وآثار ، على انه ليست الأحاديث المرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمصنف كلها متصلة الاسناد ، بل منها ما اسناده مرسل ومنها ما اسناده منقطع ومنها ما هو معضل بل ورد الابهام فى بعض الاسانيد كأن يقول « عن رجل » دون تسميته ، فهذا مما ينزل بدرجة صحة الحديث حيث قد يكون هذا الراوى المجهول غير ثقة أو غير ضابط .

واليك الآن مختارات من كتاب « المصنف ، يسبق كلا منها الرقم الذى يحمله فى الطبعة المشار اليها تيسيرا للرجوع اليه :

أ — فمما ورد مرفوعا متصل الاسناد نقتبس ما يلى :

٢٩٩ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم الذى لا يجرى ثم يتوضأ فيه » .

٣٣٠ — عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ولغ الكلب فى

الاناء فاغسلوه سبع مرات أولاهن بالتراب » (٨) .

١٩٨٤ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر فتيانى أن يستعدوا الى بحزم الحطب ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم نحرق بيوتا على من فيها »(٩) .

٢٦٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا معمر عن أبى اسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن ابيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : آمين » .

قال معمر : يؤمن وان صلى واحدا .

٩٠٣٣ — عبد الرزاق معمر عن عاصم عن عبد الله بن سرجس قال : رايت عمر بن الخطاب يقبل الركن وكان يقول : « والله انى لأقبلك وأعلم انك حجر وأعلم أن الله ربى ، ولكن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك فقبلتك »(١٠) .

١٠٩٥٢ — عبد الرزاق عن مالك عن نافع عن ابن عمر « أنه طلق امراته وهى حائض ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يراجعها ويتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم ان شاء أمسك بعد ، وان شاء طلق ، فتلك التى أمر الله أن تطلق لها النساء »(١١) .

١٢٥٩٦ — اخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا المثنى بن الصباح قال : أخبرنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان امرأة طلقها زوجها واراد أن ينتزع ولدها منها ، فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت « يا رسول الله : حين كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء أراد أبوه أن ينتزعه منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تزوجى »(١٢) .

٢١٠٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : « كان شعر النبى صلى الله عليه وسلم الى انصاف أذنيه »(١٣) .

ب) ومما رفع الى النبى صلى الله عليه وسلم وحدث ابهام فى اسناده نسوق ما يلى :

١٨٢٣ — عبد الرزاق عن معمر عن صاحب له عن الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

---

(٨) رواه أحمد عن عبد الرزاق ، ورواه مسلم من طريق غيره .

(٩) ورد هذا الحديث فى صحيفة همام ، ورواه كل من مسلم والبيهقى من طريق عبد الرزاق .

(١٠) أخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه من طريق أبى معاوية عن عاصم .

(١١) ورد هذا الحديث بالموطا ، ورواه البخارى ومسلم عن طريق مالك .

(١٢) ورد مثله فى مسند أحمد وسنن أبى داود .

(١٣) هذا الحديث آخر ما ورد فى كتاب (المصنف) .

بلالا أن يثوب في صلاة الفجر ولا يثوب في سواها »(١٤) .

٥٧٢١ — عبد الرزاق عن هشام ابن حسان عن حفصة بنت سيرين أن امراة حدثتها قالت : « غزا زوجي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة ، فخرجت معه في خمس منهن ، فكنا نقوم على المرضى ، ونداوي الكلمى ، وأمرنا في العيدين ان من لم يكن لها جلباب ان تلبسها صاحبتها من جلبابها ، قالت حفصة : فقدمت علينا أم عطية الانصارية ، فذكرت ذلك لها ، فقالت : نعم ، بأبي هو و أمي أمرنا أن نخرج في العيدين العواتق وذوات الخدور والحيض ، قالت : فأما الحيض فيمتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين »(١٥) .

٩٤٢٢ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بني النضير الى ان يعطوا عهدا يعاهدونه عليه فأبوا ، فقاتلهم »(١٦) .

٩٤٢٧ — عبد الرزاق عن الثوري عن صاحب له عن رجل عن ابن عباس قال : « ما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم قوما الا دعاهم »(١٧) .

١٢٦٩٤ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن رجل من مزينة عن أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا زنى بيهودية »(١٨) .

جـ) ومما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى عهده ولم يتصل سنده نسوق ما يلي :

١٨٦٤ — عبد الرزاق عن ابن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر الله للمؤذن مدى صوته ، ويصدقه كل رطب ويابس سمعه »(١٩) .

---

(١٤) في اسناد هذا الحديث يبهم معمر شيخ عبد الرزاق اسم صاحبه الذي روى عنه ، فالاسناد لذلك (منقطع) واذا أضفنا الى ذلك ان ابن أبي ليلى لم يلق بلالا ، فيكون الحديث (مرسلا) كذلك .

(١٥) وفي اسناد هذا الحديث ابهمت حفصة بنت سيرين اسم المرأة التي حدثتها بالجزء الاول من الحديث وان كانت صحابية كما يبدو من سياق الحديث ، وقرراه البخاري ومسلم من طريقين آخرين .

(١٦) أبهم من هذا الاسناد اسم الصحابي كذلك .

(١٧) وأبهم في اسناد هذا اثنان : شيخ الثوري وشيخ شيخه ، فالاسناد لذلك (معضل) وان كان قد أوصل الحديث غيره عن طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن أبيه عن ابن عباس .

(١٨) وهنا ابهم الزهري اسم من حدثه عن أبي هريرة ، فهو لذلك (منقطع) .

(١٩) يرفع هذا الحديث عطاء وهو تابعي توفي عام ١٠٣ هـ ، وحيث سقط منه الصحابي فهو (مرسل) .

٢١١٩ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان بن موسى قال : أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « صلوا العشاء بعد أن يغيب الشفق بينكم وبين نصف الليل »(٢٠) .

٧٣٠١ — عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان لم تروا هلال رمضان فاستكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وان لم تروا هلال شوال فاستكملوا رمضان ثلاثين يوما »(٢١) .

٨١٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذبح بالمصلى ، أو قال نحر »(٢٢) .

٨٧٤٨ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال لا أعلمه الا رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه »(٢٣) .

٩١٦٢ — عبد الرزاق عن ابن جريج قال : حدثت عن بصرة بن أبى بصرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يعمل المطى الا الى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس »(٢٤) .

٩٥٤٣ — عبد الرزاق عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غزوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولوقوف أحدكم فى الصف خير من عبادة رجل ستين سنة »(٢٥) .

٩٦٤٤ — عبد الرزاق قال : أخبرت عن ابن سيرين قال : « كان الرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاف نزع سلاحه فأعطى هذا وأعطى هذا من سلاحه ، وكان أسفها عليهم

---

(٢٠) يرفع سليمان بن موسى الحديث هنا بقوله (انبئت) بصيغة المبنى للمجهول ، وهو تابعى (٦٠ — ١١٥ هـ) فالاسناد (مرسل) .

(٢١) وهنا يرفع عطاء الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تابعى ، فالاسناد (مرسل) ايضا ، وعطاء هذا هو عطاء بن أبى رباح شيخ ابن جريج ، ولد عام ٢٧ هـ وتوفى عام ١١٧ هـ ، وسمع من الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٢٢) يبلغ معمر الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من اتباع التابعين فسقط من الاسناد على الاقل اثنان : التابعى والصحابى فالحديث (معضل) .

(٢٣) واسناد هذا الحديث (مرسل) ، فقتادة بن دعامة تابعى توفى عام ١١٧ هـ وحفظ عن جابر بن عبد الله المتوفى ٧٨ هـ .

(٢٤) وسقط من هذا الاسناد التابعى الذى حدث ابن جريج بالحديث ، فهو (منقطع) .

(٢٥) ويرفع هذا سيد التابعين الحسن بن يسار البصرى المتوفى ١١٠ هـ ، فالاسناد (مرسل) .

الريح »(٢٦) . يعنى حتى ينكران فلا يعرفان .

١٠٦٥٨ ـ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أراد فراق سودة ، فكلمته فى ذلك فقالت : يا رسول الله ، ما بى حرص على الازواج ، ولكن احب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجا لك »(٢٧) .

د) ومما يرويه (المصنف) موقوفا على الصحابى نقتبس ما يلى :

٤٥٩ ـ عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن سيرين عن يحيى بن الجزار قال : « صلى ابن مسعود وعلى بطنه فرث ودم من جزر نحرها ولم يتوضأ » .

١٦٠٨ ـ عبد الرزاق عن الثورى عن حصيف عن مقسم عن ابن عباس « أنه كان يكره أن يصلى فى كنيسة اذا كان فيها تماثيل » .

١٨٥٨ ـ عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى أن ابا بكر الصديق قال : « الاذان شعار الايمان » .

١٠٠٥٧ ـ أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة نكح يهودية فى زمن عمر ، فقال عمر : طلقها فانها حجرة ، قال : أحرام هى ؟ قال : لا ، فلم يطلقها لقوله ، حتى اذا كان بعد ذلك طلقها .

١٢٥٩٤ ـ عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغنى أن عمر بن الخطاب سمع امرأة وهى تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه
وليس بجنبى من حبيب ألاعبه
فلولا الذى فوق السماوات عرشه
لزعزع من هذا السرير جوانبه

فأصبح عمر فأرسل اليها فقال : انت القائلة كذا وكذا ؟ قالت : نعم ، قال : ولم ؟ قالت : اجهزت زوجى فى هذه البعوث ، قال : فسأل عمر حفصة : كم تصبر المرأة من زوجها ؟ قالت : ستة أشهر ، فكان عمر بعد ذلك يقفل بعوثه لستة أشهر » .

هـ) ومما نسب الى التابعين فى (المصنف) من أقوال وفتاوى نسوق الامثلة الآتية :

١٤٧٤ ـ عن عبد الرزاق عن أبى حنيفة عن حماد عن مجاهد(٢٨) قال : سئل عن المطر يصيب الثوب ، قال : « يصلى فيه فاذا جف فليحكه »

١٨١١ ـ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : « يستقبل القبلة فى الأذان والاقامة ولا يتكلم فيهما » .

١٠١٩٣ ـ أخبرنا عبد الرزاق قال : اخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : « لا تؤكل ذبيحة المجوسى وان ذكر الله » .

---

(٢٦) سقط من هذا الاسناد شيخ عبد الرزاق فهو (منقطع) ، وسقط منه الصحابى لان محمد بن سيرين تابعى توفى ١١٠ هـ فهو (مرسل) أيضا أو (معضل) .

(٢٧) وهذا من بلاغات معمر أيضا ، فالاسناد (معضل) لفقد حلقتين منه على الاقل .

(٢٨) هذا مجاهد بن جبر ، تابعى توفى عام ١٠٢ هـ .

١٠٢١٦ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن المسيب (٢٩) قال « دية المجوسى ثمان مئة درهم » .

١٠٦٨٢ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى قال : « ترد فى النكاح الرتقاء » .

والرتقاء : هى التى لا يقدر الرجل عليها .

١٣٣٧١ — عبد الرزاق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : « لو شهدت ست نسوة على زنا مع الرجل ؟ قال : لا ، الا ثلاثة رجال وامرأتان » .

و) ومما ورد فى (المصنف) لمن دون التابعين(٣٠) من أقوال وفتاوى نسوق ما يلى :

٧٢٨٣ — قال عبد الرزاق : « وكان معمر يكره أن يستحلف أحد بالمصحف » .

١١٣٥٦ — عبد الرزاق عن سفيان فى رجل قال لامرأته : « أنت طالق ثلاثا الا ثلاثا . قال : قد طلقت منه ثلاثا ، واذا قال : أنت طالق ثلاثا الا اثنتين ، فهى طالق واحدة ، واذا قال : أنت طالق ثلاثا الا واحدة ، فهى طالق اثنتين » .

١١٩٥٠ — عبد الرزاق عن الثورى قال : « اذا قال الرجل للرجل : اذهب فطلق امرأتى ثلاثا فطلقها واحدة فهو جائز لأن الواحدة من الثلاث ، وان قال طلق واحدة فطلق ثلاثا فهو خلاف ليس بشىء » .

١٣٨٢٨ — عبد الرزاق عن الثورى فى أكل لحم الخنزير ، قال : « ليس فيه حد ، ولا يعزر » .

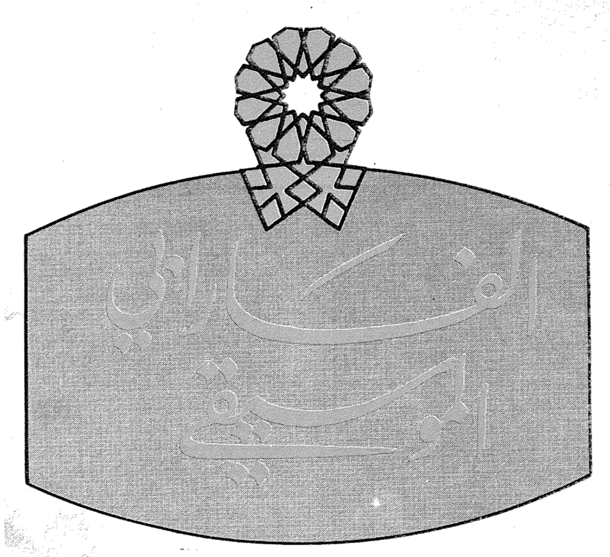
— ● —

وبذلك يتم الكلام على المرحلة الثانية من مراحل تدوين الحديث ، وهى مرحلة كتابة المصنفات ، ويلى ذلك الكلام على مرحلة تدوين (المسند) ان شاء الله تعالى .

---

(٢٩) توفى سعيد بن المسيب عام ٩٣ وقيل عام ٩٤ .

(٣٠) هؤلاء الائمة الثلاثة الذين سقنا أقوالهم من طبقة اتباع التابعين ، فمعمر بن راشد سمع من عدد من التابعين كهمام بن منبه ، وتوفى عام ١٥٣ هـ وسفيان بن عيينة كان من تلاميذ الزهرى وعمرو ابن دينار وتوفى عام ١٩٨ هـ ، واما سفيان بن سعيد الثورى فقد سمع من الزهرى ومن غيره ، وتوفى عام ١٦١ هـ .



للأستاذ : سعيد زايــد

لم يكن الفارابي بالرجـل الـذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل انه قضى حياته كلها فى شظف من العيش وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى أنه كان يعمل ناطورا ابان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . والشـىء البارز فى حياته ، هـو انقطاعـه للتعليم والتأليف ، وحبه للأسفـار ، **قضاها فى حلب — الى دمشق والى مصر ، وانتقل من مسقط رأسه الى بغداد ، ومنها الى حران ، ثم رجع اليهـا ..**

وقد أختلف المؤرخون فى نسبـه ، فقال ابن أبى أصبيعة فى (عيـون الأنباء) ان اسمه أبو نصر محمـد ابن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال ابن خلكان فى (وفيات الأعيـان) إن أسمه أبو نصر محمد بن طرخان بـن أوزلغ . وقال القفطى إن اسمه أبـو نصر محمد بن محمد بن طرخان ووافقه فى ذلك البيهقى . وقال ابن النديم فى (الفهرست) إن أسمه هـو ابو نصر محمـد بـن محمـد بـن طرخان . وقال صاعد فى (طبقات الأمـم) إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن نصر وقال فى مكان آخر من نفس الكتـاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قـد أجمعوا على اسمه ، وإن كانوا قـد اختلفوا فى ذكر نسبه واسم ابيـه ، فقالوا جميعهم إن اسمه (محمد) . وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابى

على انه تركي الأصل ، ولكن ابن أبى اصيبعة ذكر أن والده كان قائد جيش، وهو فارسى المنتسب ، والغالب أن أباه لم يكن من القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ ، ولكن صفتى الشجاعة والصبر قد ورثهما الفارابى عنه اذ انه احتمل متاعب الدرس وشظف العيش ومشاق الأسفار .

وينسب الفارابى الى بلدة فاراب ، ولكن صاحب الفهرست قال انه من بلدة فارياب من أرض خراسان . وبديهى أنه لو كان من فارياب لكان اسمه الفاريابى لا الفارابى . وبذا يصبح من المؤكد أنه من بلدة فاراب .

وقد ذكر ابن خلكان أن الفارابى توفى سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما ، وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده بانه كان حوالى سنة ٢٥٩ هـ . وهذا الاستنتاج ضرورى فى هذا المجال ، اذ انه لم يترجم لنفسه كما صنع غيره من مفكرى الاسلام ، وكذا لم يفعل ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابى يهوى التنقل والأسفار . ولكن المؤرخين لم يذكروا شيئا عن رحلاته الا ما وقع منها بعد أن بلغ سن الخمسين ، أضف الى ذلك انهم لم يذكروا لنا شيئا يروى الغلة عن طفولته وشبابه ، بل انهم تتبعوا حركة اسفاره بعد أن رحل هو من بلده الى بغداد ، وبذا تظل فى حياة الفارابى فترة غامضة قد يجلوها كشف علمى .

وقد نشأ الفارابى على ثقافة لغوية دينية ، فقد اقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، ويبعد عن الظن انه عرف لغة اخرى غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان من انه كان يلم بسبعين لسانا يدخل فى باب الأساطير .

وتوفى الفارابى فى دمشق ، وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وقد قيل ان الفارابى — فوق كونه مفكرا — كان شاعرا أيضا ، ونسبوا إليه بعض الاشعار كما جاء عن ابن خلكان وابن أبى أصيبعة . ولكن ذلك لم يثبت علميا ، فأغلب ما نسب اليه من شعر لا يتفق مع ما كان عليه من منزلة علمية وخلقية .

ولكن الثابت انه كان موسيقيا بارعا ، فقد روى ابن خلكان فى وفيات الأعيان (١) أن الآلة المسماة بالقانون من وضعه ، وأنه أول من ركبها هذا التركيب . وحكى أيضا أن الفارابىكان ذات يوم فى مجلس سيف الدولة بن حمدان ، فقال له سيف الدولة : « هل لك فى أن تأكل ؟ فقال : لا ، فهل تشرب ؟ فقال : لا ، فهل تسمع ؟ فقال : نعم . فأمر سيف الدولة باحضار القيان ، فحضر كل ماهر فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى ، فلم يحرك أحد منهم آلته ، الا وعابه ابو نصر وقال له : اخطأت . فقال له سيف الدولة : وهل تحسن فى هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم . ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك كل من كان فى المجلس، ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب بها ، فبكى كل منكان فى المجلس ؟ ثم فكها ، وغير تركيبها ، وضرب بها ضربا آخر ، فنام كل من فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج » .
ويعلق أستاذنا المرحوم الشيخ

مصطفى عبد الرزاق على ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الحكاية أدنى الى الأساطير منها الى التاريخ ، فهى تشبه أن تكون غلوا مجاوزا لا اختراعا صرفا » .

وهذا حق ، فان للمعلم الثانى باعا طويلا فى الموسيقى ، فقد ذكر الدكتور فارمر انه الف كتبا موسيقية منها : كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الايقاعات ، وكتاب آخر بعنوان : (كلام .. فى النقلة أو (فى النقرة كما يرى مستر شتاينشنيدر) مضافا الى الايقاع) وفصل عن علم الموسيقى فى كتابه (احصاء العلوم) (٢) .

وذكر ابن أبى أصيبعة أن كتب الفارابى الموسيقية هى : كتاب الموسيقى الكبير ، وقد الفه للوزير أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكتاب فى احصاء الايقاع ، وكلام فى النقلة مضافا الى الايقاع ، وكلام فى الموسيقى) (٣) .

وكتاب الموسيقى الكبير ، انما جاءت تسميته بهذا الاسم من عند ابن أبى أصيبعة ، وقد جاراه فى ذلك الدكتور فارمر . وفى الحق أنه كتاب كبير ، ولكن اسمه الحقيقى هو (كتاب صناعة الموسيقى) كما يظهر من افتتاحيته .

وينقسم الكتاب المذكور الى قسمين : الأول فى المدخل الى صناعة الموسيقى ، (وقد ظنه البعض خطأ انه كتاب مستقل) (٤) ويقع فى مقالتين ، والثانى فى صناعة الموسيقى ويتناول الكلام فى أصول الصناعة ، وفى الآلات المشهورة ، وفى أصناف الألحان ، وقد ذكر الفارابى فى مقدمته أنه الفه بناء على طلب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى . (٥) .

هذا ، وتوجد ست نسخ من هذا الكتاب مخطوطة واحدة فى ليدن ، والثانية فى ميلانو ، والثالثة فى مكتبة الاسكوريال ، والرابعة فى بيروت ، كما أشار دير لانجيه ، أما النسختان الخامسة والسادسة فتوجدان فى دار الكتب المصرية ، واحدة كاملة وهى التى كتب على غلافها (كتاب الموسيقى الكبير) والأخرى ناقصة . وقد نشر هذا الكتاب اخيرا فى مصر .

ويعتبر الفارابى علم الموسيقى جزءا من علم التعاليم ، ويقول عنه أنه العلم الذى تعرف به صناعة الألحان ، وهو قسمان : موسيقى نظرية ، وموسيقى عملية . ومن الآلات الموسيقية ما هى طبيعية مثل الحنجرة واللهاة وما فيها ، ثم الأنف ، وما هى صناعية مثل المزامير والعيدان وغيرها . وينقسم علم الموسيقى النظرى الى خمسة أجزاء : أولها المبادىء التى تستعمل فى استخراج ما فى هذا العلم ، وثانيها البحث فى أصول هذه الصناعة ، وثالثها مطابقة ما تبين فى الأصول على أصناف الآلات ، ورابعها القول فى أصناف الايقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم ، وخامسها البحث فى تأليف الألحان فى الجملة ، ثم تأليف الألحان الكاملة .

ونختم كلامنا بنصين للفارابى : الأول عن معنى صناعة الموسيقى ، والثانى فى الغرض من تأليف كتاب الموسيقى الكبير .

يقول فى الأول : « نبتدىء فنلخص أولا ، ما معنى صناعة الموسيقى ؟

فلفظ الموسيقى معنــاه الألحــان . واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا . وقــد يقع ايضا على جماعة نغم الفت تأليفا محدودا ، وقرنت بها الحروف التــى تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة فى الدلالة بها علــى المعانى . وقد يقع ايضا على معــان اخر غير هذه ليس تحتاج اليها فيمــا نحن بسبيله .

فالمعنى الأول من هذين ، اما اعم من الثانى ، واما شبه مادة له . فان الأول هو جماعة نغم تسمع من حيث كانت ، وفى اى جسم كانت ، والثانى هو جماعة نغم يمكن أن تقترن بهــا الحروف التى تركب منها الفاظ دالــة على معان ، وهذه هى الأصــوات الانسانية التى تستعمل فى الدلالــة على المعانى المعقولة ، وبها تقــع المخاطبات .

وظاهر أن دلالات اسم اللحن على هذين بالتقديم والتأخر » (٦) .

ويقول فى الثانى : « واذا كانــت الأقاويل التى اشتملت على الفنــون الثلاثة التى أثبتناها فى كتابنا هذا ، قد استوفت جميعا ما هو تابع للمبادىء الأول الخاصة بصناعة الموسيقــى العلمية ، وذلك كان مقصودنا من اول ما شرعنا فيها ، فلنجعل هذا الموضع آخر كتابنا هذا بأسره ، وهو الكتاب الذى اشتمل على أسطقسات هــذه الصناعة ، وعلى الآلات المشهورة ، وعلى تركيب الألحان . وكتابنا هــذا انما انتظم فى هذه الصناعة ما شأنها خاصة أن يتبع المبــادىء والأصــول الموضوعة فيها والمصــادرات التــى تسلمت فيما سلف .

وأما تبيين حال كثير من مبادئها ، وجل الأصول الموضوعة ، وسائــر الأشياء الخارجة المنسوبة الى هــذا العلم بغير الجهة التى أثبتت ههنا ، فقد تقدمنا نحــن ووفينا بيانهــا ، ولخصناها كلها فى كتابنا الذى الفناه فى المدخل وفى الاشياء الخارجــة المطيفة بهذا العلم ، والمنسوبة اليــه بالجهة الأخرى » (٧) .

---

(١) الجزء الثانى ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) مصادر الموسيقى العربية ، تاليف فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصــار ص ٦٠ ، — ٦٣ القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) عيون الانباء فى طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ١٣٩ ، القاهرة ١٨٨٢ م .

(٤) فارمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢

(٥) « تقلد ابو جعفر محمد بن القاسم الجبــل وديوان السواد دفعات ، وقطعة من المشرق كبيرة ، وتقلد البصرة والاهواز مجموعة ، ثم تقلد عدة دواوين . ثم آلت هاله فى آخر عمره الى الفقر الشديد ومات بعد سنة ٣٣٠ هـ فى منزله ببغداد » معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ طبعة ليبزج ١٨٦٩ م .

(٦) كتاب الموسيقى الكبير ، مدخل الكتاب . (٧) المرجع السابق ، الفصل الأخير .

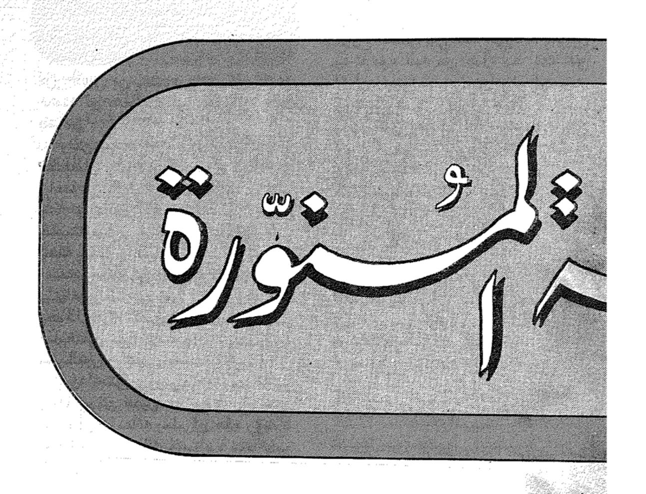


للأستاذ : محمد لبيب البوهى

كان السلطان العادل نور الدين محمود قد نذر كل جهده وحياته لمحاربة الصليبيين أولئك الغزاة الذين جاءوا من الغرب يبيتون أطماعا خبيثة فى أرض العرب ... وحقدا دفينا على الاسلام والمسلمين قاطبة ... وكانت تحدوهم اكذوبة كبرى يعلنونها على السذج من الناس .. ولقد هبت بلاد الاسلام من أدناها الى اقصاها لرد هذا البلاء الذى امتحنت به كما يمتحن دائما المؤمنون الصادقون .. فمن أجل هذا فرض الجهاد .. وهو بذل الجهد من قوة .. وعقيدة .. ومال فى سبيل أحقاق الحق .. وايام الجهاد هى الذروة فى تاريخ الأمم .. قدرا وشرفا وسعادة أنفس .. ففيها يتنسم الناس ريح الجنة .. اذ يكونون أقرب الى ربهم من سائر أيامهم .

• • •

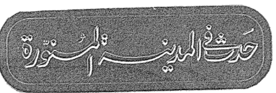
ولقد كان السلطان العادل المؤمن نور الدين فى عام ٥٥٧ من الهجرة يقوم على رأس المجاهدين من قومه .. وكان قد أعد لكل احتمال عدته ،



وكان الرجل مثلا فى الشجاعة وبعد النظر والصبر والثبات وحب التضحية .. وذهب فى ذلك كله مثلا يروى للناس على مدار الاجيال .. وكان يعلم رجاله أن هناك سلاحا لا غنى عنه هو أقوى من كل سلاح .. ولا بد منه قبل أى سلاح آخر فى يد الجندى .. إنه العون الذى يستمد من اليقين .. من قوة الايمان الذى يجعل المجاهد المؤمن قادرا على مواجهة عشرة .. ومهما اشتد بصاحبه الضعف فهو فى الحد الأدنى قادر على أن يغلب اثنين من أهل الباطل .

• • • •

ولقد كان السلطان العادل المؤمن صاحب تهجد فى الليل — وصاحب أوراد فى النهار — .. وكان صاحب عدل ينشر ظلاله على الناس . وكان مجلسه من أطيب المجالس وأكرمها .. فما قصده صاحب حاجة الا استمع اليه بقلب مستنير وعقل يقظان حتى لقد شاع بين الناس .. أن الملائكة تحف دائما بمجلس السلطان العادل



نور الدين بن محمود .. وكان من عادته أن يتلطف دائما بأصحابه حين يلقاهم .

ولكن جاءت فترة من الزمن كان السلطان يبدو فيها مشغول البال .. راغبا فى العزلة قليل الكلام .. ولم يشأ نور الدين أن يكاشف أحدا من خاصته بما يهمه حتى تزداد الأمور فى ذهنه تبيانا واشرافا ..

فقد حدث من بضع ليال مضت ان راى فى المنام .. نبى الهدى والرحمة محمدا عليه صلوات الله وهو ينهض أمامه فى حلة من نور .. فيأخذ بيد نور الدين ويشير بأصبعه الكريمة الى رجلين أشقرين ويقول له : أدركنى وأنقذنى من هذين .. وكان الذى يهم السلطان .. انه يعلم أن هذه رؤيا صادقة ما فى ذلك ريب .. فقد اخبر الهادى البشير أن من يراه فى النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بشخصه الكريم .. اذ لا يمكن للظلام أن يلبس ثوب النور .

. . . .

لقد أيقن السلطان انه رأى النبى العظيم فى هذا المنام حقا — ولقد رآه فى منامه من قبل كثيرا .. رآه يوم فكر فى الخروج للجهاد .. ورآه فى بداية كل جولة من جولات الجهاد وفى أعقابها .. وإنهلشرف عظيم كان يبدو به سعيدا مستبشرا قرير العين اذ يرفعه الله الى هذه المكانة .. فيريه فى منامه أشرف خلق الله طرا .. ولكن لماذا يبدو النبى الكريم فى هذه الرؤيا حزينا مهموما ..؟ وما شأن هذين الرجلين الأشقرين ..؟ ومن هما .. ؟ وما هو ذلك الاثم الكبير الذى يهمان به ويريد محمد العظيم أن يندبه لدفعه ..؟

مضت الأيام تباعا والسلطان المؤمن العادل نور الدين بن محمود موزع النفس بين هذه الرؤيا .. وبين ما تدعوه اليه من عمل .. وما كان له أن ينسى فى خضم أعباء الجهاد رؤيا رأى فيها رسول الله .. ولم يكد يمضى على ذلك أسبوع حتى رأى نفس الرؤيا مرة أخرى .. فنهض وأعاد الوضوء والصلاة ثم حاول بعد طول تسبيح وتفكر أن يلتمس ساعة من نعاس فاذا بنفس الرؤيا تعاوده .. ولما نهض مستيقظا مرة أخرى بدا له أنه يرى بعين اليقظة الرسول الكريم ممسكا بيده وهو يشير الى نفس الرجلين الأشقرين .. أدركنى وانقذنى من هذين ..

عندئذ دبر السلطان أمرا .. انه لا يستطيع وما ينبغى له أن يكتم ما رأى فأسرع على الفور فى طلب جمال الدين الموصلى .

. . . .

كان هذا الرجل وزيرا تقيا ورعا .. وما كان لسلطان تقى ورع الا أن يتخذ وزيرا على شاكلته ..

لم يكن ضوء النهار قد انبلج بعد .. ولكن الرجل أسرع من فوره ليلبى هذا الأمر الذى جاءه فى غير وقت معتاد .. وما أن أشرف فى مقدمه على القصر .. حتى رأى الشرفة الكبرى مضاءة ووجد الحاجب يدعوه الى لقاء السلطان على الفور .

وما أن استمع الوزير الى رؤيا السلطان حتى استغرق فى تفكير عميق .. هذه رؤيا صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. فمن رأى المصطفى فى منامه فقد رآه يقينا .. ولكن ما هذا الشىء العجيب الذى تنبىء به الرؤيا ..!؟

لقد حار الرجل فى تأويلها وادراك ما ترمى اليه .

فلما طال سكوت الوزير .. أوجس السلطان خيفة وظن فى الرؤيا نذيرا

له فقال : يا جمال الدين .. العهد بك الصدق والوفاء .. وانك لصاحب علم ونظر فى الأمور .. ماذا ترى فى هذه الرؤيا .. ؟

. . . .

قال الوزير فى أناة وتدبر : مولاى .. ما من ريب أن هناك شيئا لا يرضاه الرسول العظيم .. وأن كيدا ما يدبر فى الخفاء .. وأن المصطفى عليه صلوات المولى وتسليماته يندبك لدفع هذا البلاء ..

قال السلطان : ولكن ماذا ترانى فاعلا ؟

قال الوزير : ما يليق بك أن تقعد بعد اليوم دون أن تسعى الى صاحب هذه الرؤيا ...

ان الراى عندى أن ترحل الى المدينة المنورة بأنواره حيث مقامه الكريم .. وهناك سوف تكون قريبا منه .. عسى أن تزداد الأمور ازاء هذا التجرد وضوحا وتبيانا .

قال السلطان مستبشرا وقد اشرق وجهه بنور اليقين : هو ذاك يا جمال الدين .. أعد للرحلة عدتها من مال ورجال وما نتقرب به من هدى الى بلد الرسول وأهله الأكرمين .

قال الوزير : ومتى يرى مولاى أن نبدأ المسير .. ؟

قال السلطان : اليوم يا جمال الدين .. فلا وجه ولا مبرر لتأخير ..

. . . .

أعلن السلطان أمر خروجه مسافرا الى بلد الرسول .. واستبشر الناس بذلك كثيرا .. غير أنه كتم أمر الرؤيا فلم يطلع عليها أحدا غير وزيره .. ولقد أوصاه بالكتمان .. فان كتمان السر من أفضل ما تعالج به الامور .

واجتمع الناس حول السلطان التقى الورع يودعونه . ويسالونه صالح الدعوات فى روضة الرسول الكريم .

وخرج السلطان مع وزيره فى عشرين من خاصة حرسه ورجاله .. وقد قدروا أن يقطعوا الطريق الى المدينة فى اسبوعين .. على انيحطوا الرحال فى بعض مناطق المسير التماسا لبعض راحتهم وراحة الدواب .. وللاجتماع بأهل هذه البقاع .. والاستماع الى ما يهمهم من شئون حياتهم .. فما يليق بالسلطان العادل أن يمر ببعض رعيته مرورا عابرا .. فى فرصة لا تتكرر كثيرا على مدار الاعوام .

وكان السلطان ما ينفك فى كل ساعات نهاره عن التفكير فى هذه الرؤيا .. ولقد استقرت فى وجدانه صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين اشار اليهما المصطفى فى المنام .. لقد كانت الصورة فى خياله واضحة تماما .. فهو يعرف لون شعرها ... وملامح وجهيهما .. وطريقتهما فى المشى والحوار .. ولقد أوتى حظا من القدرة على الرسم لخط صورتهما على الورق .

. . . .

وكان الركب السلطانى حين يحط فى اية مرحلة .. يسارع أهلها الى تحية السلطان الذى سبقه اليهم انباء عدله .. وكان خطباؤهم وشعراؤهم يتبارون فى الاشادة بسجاياه فى هذه الأحفال التى كانت تقام لتكريمه .. ولقد كان السلطان يحاول ان يلمشتات فكره للاستماع الى هذه الكلمات .. غير ان فكره كان يبرحه ويذهب عنه دائما بعيدا .. انه ما يكاد يتخذمجلسه بين الناس حتى تلم به صورة هذين الرجلين الأشقرين اللذين رآهما فى المنام .. ويخيل اليه أنهما يتحديانه . وانهما يتجسدان أمامه يروحان بين القوم ويجيئان وكأنهما يغيظانه .. من اجل هذا كان صدره يضيق بالمكان ..



ويود أن ينطلق الى الرحاب الواسعة للتنفيس عن نفسه .. فما ان ينتهى الحفل حتى يبرح السلطان خيمته ويضرب وحيداً الا من أفكاره في البيداء على غير هدى .. وكان بعض رجاله يتابعونه من بعيد لحراسته .. دون ان يعكروا عليه فكره .. ويستمر السلطان مصعداً في التلال متابعاً صورة هذين الأشقرين الملعونين .. وكأنه يطاردهما ولكنه ما زال في حيرة من امرهما .. وفي امر الشر الذي يدبرانه .. لا يخفف عنه الا احساسه بهذا الشرف الذي اسبغه عليه سيد الرسل حين ندبه في الرؤيا الصادقة لهذه المهمة .. ولكن كيف يتسنى له أن يعرفهما ... وأن يعرف هذا الشر الذي يدبرانه ..

كان السلطان يبدو دائماً مسترسلاً في هذه الأفكار .. وكان حراسه يتهامسون عما يفعلون حين يرونه قد قطع في مسيره المستوحد شوطاً بعيداً وان أحداً منهم لا يجرؤ في الحديث اليه كي يعود ادراجه قبل ان يتقدم الليل . فأسرعوا الى وزيره ليدبر الأمر .. وجاء جمال الدين .. وسار الى جوار السلطان هادئاً ساكناً لايريد أن يبدأ الحديث .. حتى أحس به السلطان فاستيقظ من شروده وعاد يتلطف الى الوزير .. ويصطنع الابتسام .. وعاد معه من حيث جاء .

• • • •

وصل الركب السلطاني المهيب مشارف المدينة .. وأسرع السلطان في طلب وزيره ليسأله عما يلزم من الآداب التي يستقبل بها مدينة الرسول العظيم .. فانه لكل مجال آدابه ..

قال الوزير : فليغتسل مولاى السلطان وليطهر .. وليصلين ركعتي التحية في هذا المسجد القائم في مدخل المدينة .. مسجد قباء .. على مسيرة زهاء ميلين منها .. وهو أول مكان نزل فيه محمد عليه صلوات الله قبل دخوله المدينة .

فعل السلطان ما أشار به الوزير . ثم سار الركب الى الحرم النبوى ... ووقف السلطان في الروضة مسلماً في أدب وخشوع على صاحبها .. ولم يكن الرجل بقادر على أن يمسك دمعه الذى انهمر في جلال الموقف .. لقد وقف صامتاً عاجز اللسان عن الكلام وترك المجال لقلبه ليستقبل أنوار الهداية .. وكانت تتردد في خفايا القلب دعوات صامتة الى رب الأرض والسموات .. ورب محمد .. ورب كل شيء كي يكشف الله عن بصيرته هذه المهمة التى ندبه من أجلها رسول الله ثم تراجع السلطان خطوات .. وراح يصلى ما طابت له الصلاة .. وما أن سلم عن يمين وعن شمال .. حتى خيل اليه أنه يرى رسول الله أمامه في المحراب يمد اليه يمناه الشريفة ... فأسرع وتقدم كي يقبل اليد الكريمة . وكان وزيره على القرب منه .. فراح يضرب يديه أسفاً وهو لا يرى حوله غير الجبال وقد ظن الظنون بما أصاب عقل السلطان الرشيد الحكيم . .

• • • •

كان السلطان ما يزال يكتم سره فلم يطلع عليه أحداً غير وزيره .. ولكنه تحدث الى والى المدينة فقال : إنه يريد أن يصافح بيده كل رجل .. وكل شاب .. وكل فتى ممن يقيمون في المدينة .. سواء كانوا من أهلها أو من زوارها .. انه يريد أن يراهم أجمعين وأن يصافحهم فرداً فرداً لا يتأخر ولا يتخلف منهم أحد . .

أخذ والى المدينة ينشر هذا على الناس .. وفرح القوم بهذه الفرصة المباركة التى اتيحت لهم للقاء السلطان العادل المجاهد الذى اشرقت أنوار امجاده فى الآفاق .

وتزاحم الناس . واخذوا يتدافعون افواجا .. ولكن الوزير جمال الدين تحدث الى والى المدينة كى يجعل لقاء الناس بالسلطان بتخطيط واعداد ونظام .. وكان الوزير يدير فى نفسه أن السلطان يريد أن يتمعن فى كل شخص وهو يصافحه.. حتى لا يفوته أحد من المقيمين بالمدينة .. عساه أن يكشف بينهم عن هذين الأشقرين اللذين طلب اليه رسول الله فى الرؤيا أن يدركه ويغيثه منهما .

• • • •

قام الوالى بوضع خريطة للمدينة. وقام رجاله بتحديد طرقاتها وبيوتها .. وحصر الناس فيها .. وحددوا لأصحابها من الرجال والشباب الموعد المضروب للقاء السلطان نور الدين العظيم .

وكان السلطان يلقاهم فردا فردا . يصافحهم ويهش اليهم . ويتحدث الى بعضهم ويسألهم عما يهمهم .. ويأمر كل يوم بالصدقات لذوى الحاجة منهم . فرأت المدينة أياما وليالى مشرقة مضيئة وكان الناس فى كل مكان يلهجون بالنصر للسلطان وهم يتذاكرون أعماله .. وأخذ الشباب والصبيان يقلدونه لحبهم اياه فى حركاته وسكناته ، وفرح أهلهم بذلك كثيرا .

أما الشىء الذى لم يدركه أحد .. فهو انه كان يتفرس طويلا فى وجه كل من يصافحه عساه أن يجد بينهم أحدا من هذين الأشقرين الملعونين .. ولكن الأيام تمر . والسلطان لم يقع على بغيته .. حتى انتهى عرض كل أهل المدينة والمقيمين فيها عليه . دون أن يتحقق له الأمر الذى كان ينشده .

ضاق صدر السلطان العادل نور الدين .. وركبه الهم .. وقام فى روضة الحرم المحمدى باكيا . خاشعا مصليا .. رافعا يديه الى السماء فى ابتهال حار عميق كى يكشف الله له عن حقيقة الأمر فى هذه الرؤيا .. وكان السلطان يقضى الساعات الطوال فى ركوعه وسجوده وبكائه . ومن خلفه كان الوالى والوزير يضربون ايديهم أسفا لما اصاب السلطان الرشيد .

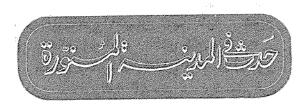
اتجه السلطان الى والى المدينة وقال : هل أنت على يقين تام انه لم يبق أحد من أهل المدينة لم أصافحه ؟ .

قال الوالى : لقد جئنا بكل شاب وكل رجل من أهلها .. لقد كان الناس يتزاحمون على بابك وكل منهم سعيد بهذه الفرصة . فلم يتخلف أحد .

قال السلطان لوالى المدينة : ابحث هذا الأمر مرة أخرى وتدبره .. وذهب الوالى يرسل العسس .. وجاء من يذكره بأمر هذين الرجلين الكريمين من رجال التصوف والحكمة اللذين اعتزلا الناس بعد أن جاءا الى المدينة من نحو عام وقاما بتوزيع الأموال والصدقات ثم اعتزلا الناس زهدا وعبادة وما كاد الوالى يتحدث الى السلطان عنهما معددا مناقبهما .. وافضالهما .. وكرمهما .. حتى أبدى السلطان رغبته فى السلام عليهما والتبرك بهما عسى أن يسألهما الدعاء ليكشف الله عنه هذه الغمة .

• • •

وجىء بالرجلين .. وما كاد نور الدين يراهما حتى بهت .. وتراجع الى الوراء وراح يمسح عينيه .. حتى لا يكون بصره قد خدعه .. ولقدكاد لولا الوقار أن يصرخ صرخة ينشق



لها صدره .. لقد راى الرجلين على نفس الصورة التى بدت له فى الرؤيا .

وأرسل السلطان الى كل مكان فى المدينة من يتحرى له أمرهما .. فجاءت الأنباءتؤكد ما أجمع عليه الناس من صلاحهما وتقواهما وحبهما للعزلة وللعبادة .. قال السلطان : أريد أن أزورهما فى بيتهما .

ولما زارهما السلطان ازداد قناعة بأنهما على خير ما يبدو على الناس من حب الخير والبر . وازدادت مع ذلك حيرة السلطان فى الأمر .. وقد عرف انهما لشدة حبهما لرسول الله قد اتخذا بيتا يواجه القبر الشريف لا يفصله عنه غير الطريق .. وبدت للسلطان فكرة أن يفتش الدار وان يبحث كل شبر من أرضها وجدرانها عساه يقع على بينة جديدة قبل ان يترك المدينة .

ودبر والى المدينة اقامة حفل فى جهة أحد .. على مسيرة بضعة أميال من المدينة. وذهب بنفسه الى الرجلين الصالحين الأشقرين يدعوهما الى هذا الحفل الذى سيقام تكريما للسلطان .

ولما ذهب الرجلان الى الحفل تأخر السلطان وذهب بصحبة وزيره جمال الدين الى بيت الرجلين .. وراحا يفحصان كل شبر من الأرض وكل جدار . وكان المكان مفعما بالصحف المنشورة والآيات المعلقات فى براويز الذهب والفضة .. وهم السلطان ان يبرح المكان حيران لا يدرى من امره شيئا .. غير أنه عندما هم بالخروج . رأى البساط الفاخر الملاصق للجدار يهبط تحت قدمه .. فأوحى اليه ذلك أن يرفع البساط وأن يعالج الأرض من تحته فانكشف له أمر عجيب .. لقد انكشف المكان تحت البساط الرائع عن نفق محفور يمتد تحت الأرض ضيقا لا يتسع لأكثر من رجل واحد .. ويمتد النفق عبر الطريق حتى يكاد يصل الى قبر النبى الكريم العظيم .

لقد أصيب السلطان بما يشبه الصرع .. وفارقه وقاره .. وارسل فى طلب الرجلين وأمر بضربهما ضربا مبرحا مميتا حتى اعترفا بانهما رجلان من اليهود . وانهما قد كلفا من قومهما بسرقة جثمان النبى محمد من قبره .. حتى يكون للمسلمين من وراء ذلك ذل وعار وانهما واصلا الحفر حتى اوشكا ان يصلا الى القبر الشريف .

• • • •

أمر السلطان ان يحفر حول الروضة من جميع اقطارها الأربع حتى يصل الحفر الى الماء دون ان يقترب من القبر الكريم أو يكشف شىء منه . ثم أمر ان يصب حول الحجرة النبوية حائط سميك من الرصاص لا يبلى بمرور الزمن ولا يصل اليه أحد ابدا ورأى السلطان النبى العظيم يضمه اليه ويعانقه .. وعاد السلطان قرير العين راضيا وودعه أهل المدينة خير وداع .

وقد عرفوا شيئا جديدا من كيد اليهود .. وحقدهم على رسول الله وعلى كل مقدسات الاسلام .

أما السلطان فقد بدا فى طريق العودة وكأنه يسمع لأول مرة ما توعدهم به الله فى محكم كتابه : **(واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) .**

فقال فى نفسه : صدق الله العظيم جزاء وفاقا لما جبلوا عليه من الغدر والاجرام .



الفتح الذى وحّد الجزيرة العربية

للأستاذ : محمد رجاء حنفي

يعدّ صلح « الحديبية » الذى عقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين « قريش » فى أواخر السنة السادسة الهجرية أول مفتاح من مفاتيح هذا المعقل العتيد ، فقد أعلنت « قريش » فى ذلك الصلح اعترافها بأن الرسول الكريم صاحب دين جديد ، وأنه لا مانع من أن توقّع معه عهداً يستقر السلم بمقتضاه بينهما ، بعد عجزهـــا العجز التام فى القضاء عليه وعلى دعوته ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهـــا التى بذلتها فى سبيل ذلك بالفشل .

لقد ظلت أعواما طوالا لا تعترف بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، فدينه يخالف دينها وعقائدها ، وتقاليدها وتقاليد آبائها وما توارثته عن أجدادها ، وهو قد قلب أوضاعها رأسا على عقب ولكنها ظلت على كبريائها وتعاظمها تفترى على الرسول صلى اللـــه عليه وسلم الأكاذيب ، وتنعته بما تشاء من الأوصاف التى تشوّه سمعته ودعوته بين العرب ، فلما عجزت بكل وسائلها فى القضـــاء عليه وعلى دعوته ، لم تر إلا أن تنزله منها منزلـــة الند من الند ، وأن تصالحه ولو إلى حين حتى تضمن أن تعيش معه فى سلام .

ثم كانت عمرة القضاء في العام التالي لصلح « الحديبية » المفتاح الثاني من مفاتيح هذا المعقل ، فقد كان مظهر المسلمين في هذه العمرة وهم في توادهم وتراحمهم ، وفي حسن انقيادهم ودقة نظامهم ، وفي ائتلافهم وتضامنهم ، وفي صدق محبتهم وإخلاصهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وفي قوة حماسهم لدينهم وشدة تمسكهم بآدابه وتعاليمه ، وفي بالغ تقديسهم للبيت الحرام وتعظيم حرماته ، وفي كل ما يؤدونه من شعائر هذه العمرة ، كان لمظهر المسلمين في كل هذا أكبر الأثر في هز نفوس أهل « مكة » هزا عنيفا وفي لمس مكان العقيدة من قلوبهم ، فأخذوا ينظرون إلى المسلمين نظرة الإعجاب والتعظيم والإكبار ، وينظرون إلى الاسلام نظرة التفكير والتأمل والتدبر ، ويوازنون بين هذا الدين وبين ما هم عليه من عقيدة لا يقرّها عقل ، وتقاليد لا يقبلها المنطق ، ويقارنون بين عبادة المسلمين التى تمتاز بالروحانية والخضوع لله عز وجل ، وبين عبادتهم التى لا تستند إلى شيء ، وليس لها أساس تقوم عليه ، ويدخلها الكثير من اللغو والخرافات .

وعندما أمعنوا النظر في كل ما شاهدوه ، رأوا الفرق الكبير والمسافة البعيدة بين دينهم ودين الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فرقت له قلوبهم واستعدت ، واستراحت نفوسهم وتهيأت ، فأسلم الذين استطاعوا الجهر بالإسلام ، وأسرّ الآخرون من المستضعفين اعتناقهم لهذا الدين ، وكان الكثير منهم قد تهيأ بنفسه وقلبه لأن يسلم ولكن منعته ظروف حائلة ، ومصالح مستعجلة مدة من الزمن ، فكل ذلك أحدث تخلخلا في دين أهل « مكة » الوثنى أثناء عمرة القضاء ، وكان هذا من الأسباب التى هيأها الله لفتح « مكة » .

نقض الصلح :

وشاءت إرادة الله عز وجل أن تزول بقية العقبات من طريق فتح « مكة » ، فكان ما حدث في السنة الثامنة من الهجرة ، من نقض « قريش » لصلح « الحديبية » .

لقد كانت هناك خصومات ومشاحنات قديمة بين قبيلتى « خزاعة » و « بنى بكر » من أيام الجاهلية ، ولكن نار العداوة بينهما خمدت بعد صلح « الحديبية » ، لدخول « خزاعة » في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودخول « بنى بكر » في عهد « قريش » ، فحلّ الأمان والسلم محل الحرب بين القبيلتين ، ولكن حادثا طرأ جعل الحرب تشتعل نارها من جديد بينهما ، ذلك أن أحد أفراد قبيلة « بنى بكر » وقف ذات يوم يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مسمع من رجل خزاعي ، فثارت ثائرته وقام إليه وضربه ، فأعلنت قبيلة « بنى بكر » الحرب على خزاعة ، وأخذت تتأهب للانتقام ، وحرضهم على ذلك جماعة من « قريش » ، منهم عكرمة بن ابى جهل ، وبعض سادات « قريش » ، وأمدوهم بالسلاح .

وفي ذات ليلة كانت « خزاعة » على ماء لها يسمى « الوتير » ففاجأتها قبيلة « بنى بكر » ومن معها من « قريش » ، فلجأت « خزاعة » إلى الحرم تحتمى به ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة « بنى بكر » من مقاتلتها فى المسجد الحرام ، فاستنصرت « خزاعة » برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب وفد منهم إلى « المدينة » ، وعلى رأسه زعيمهم عمرو بن سالم ، واخبروا الرسول الكريم بما كان من أمر هذا الغدر الذى اشتركت فيه « قريش » ، وكان مما قاله زعيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

يا رب إنى ناشد محمدا حلف ابيه وابينا الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصرا أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان : « نصرت يا عمرو بن سالم » ، وفى رواية : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسى » ، وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى بكر غضبا لم أره غضبه منذ زمان » ، ثم قال الرسول الكريم لعمرو بن سالم وأصحابه : « أرجعوا وتفرقوا فى الأودية » ، فرجعوا وتفرقوا ، وكان عددهم أربعين راكبا ، وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتفرقتهم إخفاء مجيئهم ، ورأى الرسول الكريم أن الوقت قد حان لفتح « مكة » ، فأخذ يستعد لهذا الفتح .

سفارة ابى سفيان إلى المدينة :

وقدّر الرسول صلى الله عليه وسلم أن « قريشا » ستدرك سوء ما صنعت ، وأنها سترسل إليه من يقوم بإصلاح ما أفسده الغدر بينها وبينه ، فقال لأصحابه : « كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشدّ فى العقد ويزيد فى المدة » .

وحدث ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد رأت

« قريش » أن تتدارك الأمر ، وأن تزيل ما تركته زيارة الوفد الخزاعي لـ « المدينة » من أثر فى نفوس المسلمين ، فانتدبت أبا سفيان مفوضا من قبلها لزيارة « المدينة » ، وللسعى لحل الخلاف سلميا ، ولإبقاء عهد « الحديبية » نافذا محترما ، ويمدّ فى مدته إذا أمكن ذلك ، فقد ذاقت « قريش » بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد أن حرمت منهما أعواما طوالا ، فعكفت على العناية بتجارتها ومصالحها الاقتصادية ،

ووصل أبو سفيان إلى « المدينة » ، وقصد أول ما قصد منزل ابنته أم حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لشعوره بخطورة المهمة المكلف بالقيام بها ، فآثر الا يذهب إلى الرسول الكريم رأسا قبل أن يمهّد الطريق لمقابلته .

وعندما أراد أبو سفيان الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فاندهش من هذا التصرف وسألها : أرغبت به عن الفراش أم رغبت بالفراش عنه ؟ فأجابته بأنه فراش الرسول الكريم ولا يجدر بالمشركين من أمثاله الجلوس عليه ، فوقع هذا الكلام على نفس أبى سفيان وقعا أليما ، فلم يكن يتوقع هذا من ابنته أقرب الناس إليه ، وخرج من عندها مصدوما ، حزين النفس جريح الفؤاد ، ثم ذهب إلى المسجد فزار الرسول الكريم وكلّمه فيما جاء لأجله ، وعرض عليه أن يمدّ أجل الهدنة ، واعتذر عما حدث من قبيلة « بنى بكر » لقبيلة « خزاعة » ، فأعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وأبى أن يجيبه أو أن يناقشه ، فكانت هذه الصدمة أنكى وأمرّ من الأولى ، فخرج من المسجد وهو أشد ما يكون ذلا وانكسارا وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذهب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه — فرفض معتذرا فى لطف ، فتوجه الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فأغلظ له فى الرد ، وقال له فى جفاء : « أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » ، فخرج من عنده إلى على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — ، وكلّمه كلاما رقيقا لينا لإثارة عاطفته ، فقال له : « يا على : إنك أمسّ القوم بى رحما ، وقد جئتك فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائبا ، فاشفع لى » ، فأجابه معتذرا ، وفشلت بذلك سفارة أبى سفيان .

الاستعداد لفتح مكة :

أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب سفر أبي سفيان أمرا بالتعبئة العامة ، وأشار بأن تكون سرّية ، وأرسل إلى البدو ومن حولهم من الأعراب ليحضروا رمضان بـ « المدينة » ، فاستجابت القبائل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدفقت على « المدينة » وعسكرت بأرباضها ، ولشدة حرصه على ألا يريق دما بـ « مكة » أخفى وجهته عن المسلمين ، وأمر بوضع حرّاس على أبواب الطرق ومداخل البلاد يحرسونها ، ويردّون عنها من لا يعرفونه ، فلا يفلت أحد ولا يصل إلى « قريش » خبر .

وبعد أن اكتمل جمع المسلمين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى « مكة » ، وأمرهم بالتهيؤ والاستعداد ، وسأل الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار على « قريش » ، فلا تعلم بتحركه حتى يفاجئها في بلادها .

خطأ غير مقصود :

وبينما الجيش على أهبة السير إلى « مكة » كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى « قريش » يخبرهم فيه بما اعتزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستأجر امرأة من « مزينة » تدعى سارة ، وأعطاها الكتاب وأمرها أن تتلطف وتحتال حتى تبلغه إلى « قريش » فأخذت سارة الكتاب وأخفته ، واستطاعت أن تخرج به من « المدينة » واتجهت في طريقها إلى « مكة » ، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب،فأرسل في إثر سارة علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فأدركاها في الطريق واستخرجا منها الكتاب ، وأحضراه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا الرسول الكريم حاطبا وأطلعه على الكتاب الذي أرسله ، ثم قال له : « ما حملك على هذا ؟ » ، فأيقن حاطب أنه هالك لا محالة ، وأنه لا نجاة له إلا بإخبار الرسول الكريم عن الدافع الذي دفعه إلى ارتكاب هذا العمل ، فقال : « يا رسول الله : لا تعجل عليّ ، فوالله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنني كنت امرأ ليس في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين ــ ممن له أهل أو مال بمكة ــ لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم ، فأحببت ــ إذ فاتني النسب

فى قريش — أن اتخذ عندهم يدا يحمون بهـا قرابتى ، ولم افعلـه ارتدادا عن دينى ، ولارضا بالكفر بعد الإيمان .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم فى لهجة حاطب أمارات الصدق وسلامة النيّة فيما أقدم عليه ، فقال لمن حوله : « أما إنه قد صدقكم فيما أخبركم به » ، وقد عفا عنه الرسول الكريم نظرا لتاريخه وماضيه المشرّف فى الدفاع عن حرمات الإسلام .

مسيرة الجيش :

استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفـارى رضى الله عنه على « المدينة » نائبا عنه ، وخرج منها فى عدد من المهاجرين والأنصار والوافدين على « المدينة » من القبائل يبلغ نحـو عشرة آلاف مقاتل ، فى اليوم الثامن من شهر رمضان من السنـة الثامنة للهجرة ، وتحرك هذا الجيش الضخم المنظم ، الموحد القيـادة والغاية ، عبر الصحراء الواسعة قاصدا « مكة » ، وسار يطـوى الفيافى والقفار والمسلمون صائمون ، وهم جد حريصين على كتمان أمرهم وإخفاء خبر مسيرهم حتى وصلوا إلى « مـر الظهـران » ، فاستقر الجيش فيه وضرب مخيمه استعدادا للعمل العظيم الـذى ينتظره ، ولما كان وصول المسلمين إلى هذا المكان فى المساء ، فقـد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بإشعال النيـران فى مواضع نزولهم ، فأشعلوا عشرة آلاف شعلة بعدد أفرادهم ، فبـدا نورها ساطعا يضىء ظلام الصحراء ، ويتلألأ فى فضائها الواسـع حتى جعل ليلها نهارا .

وغمّ على زعماء « قريش » أمر المسلمين ، وانقطعت أخبارهم عنهم ، ولما كانوا واثقين من أنهم لن يتركوهم وأنهم سينتقمون منهـم لاعتدائهم على قبيلة « خزاعة » ، فقد أقلقهم عـدم معرفتهم ما يدّبر فى « المدينة » .

وغادر أبو سفيان « مكة » فى نفس الليـلة التى نزل فيهـا المسلمون « مر الظهران » ، ومعه حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، ليتسقطوا أخبار المسلمين ، فشاهدوا النار التى أشعلها المسلمون ، واسترعت نظر أبى سفيان ، وتوقع بديل أن تكون هذه النيران نيران « خزاعة » ، ولكن أبا سفيان استبعد ذلك ، لأن « خزاعة » فى نظره أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وهذا عسكرها .

وكان العباس عم الرسول صلي الله عليه وسلم قد خـرج باولاده مهاجرا الى « المدينة » لينضم الى ابن أخيه ، فالتقى به فـي الطريق ، فبعث بأهله الى « المدينة » ورجع مع الرسول الكريم ، وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه مصادفة مباركة حقن الله عز وجل بها الدماء ، ويسر الأمور ، وذلل بها الصعاب في طريق الفتح على مكان يحب ويرجو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشي العباس على أهـل « مكة » من نتائج هذه الحملة المباغتة ، فأخذ يفكر فيما سيترتب لو حدثت مقاومة من « قريش » لجيش المسلمين ، حتما ستكون هناك خسائر فى الأرواح ، ورأى الدمار وشيك الوقوع بساحة « قريش » ، فراود الأمل نفسه فى أن يهديه الله حيلة يمنع بها الكوارث التى تكاد أن تحل بهم ، فركب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج من معسكر المسلمين قاصدا « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم الذى جاء لقتالهما ، فيؤثر بذلك في معنوياتها ويضطرها الى التسليم بدون قتال ، فتحقن بذلك دماؤها ، وتنجو من معركة ليست فى صالحها على الاطلاق ، فسمع وهو فى طريقه الى « مكة » حديث أبى سفيان مع صاحبيه ، فناداه العباس وطلب منه أن يركب معه ليأتى به رسول الله صلى عليـه وسلم ويستأذنه له فوافق أبو سفيان على طلب العباس ، فأردفه وراءه ورد صاحبيه الى « مكة » وسار به حتى وصل الى خيمـة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأنزله وأسرع به الى داخل الخيمة.

إسلام أبى سفيان :

وفى الصباح جىء بأبى سفيان إلى مجلس الرسول صلى اللـه عليه وسلم ، وبمسمع من كبراء المهاجرين والأنصار قال له الرسول الكريم : « ويحك أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال أبو سفيان : « ما أحلمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ما أغنى عنى شيئا » ، فقال له الرسول صلى اللـه عليه وسلم : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ » ، فقال أبو سفيان : « أما هذه فوالله إن فى النفس منها الآن شيئا » ، فتدخل العباس وقال له : « ويحك . أسلم قبـل أن تضرب عنقك » ، فأسلم .

وطلب العباس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لأبى سفيان شيئا لأنه يحب الفخر ، فأعلن الرسول الكريم أن من دخـل

دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

رجوع أبى سفيان إلى مكة :

عاد أبو سفيان إلى « مكة » مبهورا مذعورا ، وهو يشعر أن من ورائه إعصارا مدمرا إذا انطلق اجتاح « قريشا » وقضى عليها القضاء المبرم ، وشاهد أهل « مكة » القوات الاسلامية تقترب منهم ، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم على قرار حاسم ، فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأى الأخير ، فإذا بصوت أبى سفيان يرتفع مجلجلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى « قريشا » بما لا قبل لها به ، وأنه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال ، ثم أعلن أن من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت زوجته هند وجذبته من لحيته وقالت : « اقتلوا هذا الشيخ الأحمق ، قبّح من طليعة القوم » ، فلم يكترث أبو سفيان بما صنعته وقالته وقال : « ويلكم ! لا تغرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » ، فردوا عليه بقولهم : « قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ » ، فأكمل : « ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، فتفرقوا مذعورين إلى بيوتهم وإلى المسجد .

تطويق مكة ودخولها :

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « ذى طوى » ، واقترب من أبواب « مكة » فرّق الجنود والقادة على مداخلها وأحاط بها من كل جانب ، ثم أمر الزبير بن العوام أن يدخل « مكة » من جهة الشمال بمن معه من الجنود ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل بفرقته من الأنصار من الغرب ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بفرقته من الجنوب ، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخل بفرقته من المهاجرين من الشمال الشرقى من جبل « هند » ، وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مؤخرة الجيش .

ودخلت القوات الإسلامية « مكة » بلا مقاومة تذكر ، والرسول القائد على ناقته « القصواء » فى غير تكبّر ولا تجبّر ولا خيلاء ، بل فى تواضع وخشوع لله عز وجل ، وهو يذكر يوم أن خرج مع صاحبه مهاجرا ، وأكبّ الرسول صلى الله عليه وسلم على رحل ناقته حتى كاد رأسه الشريف يلمس وسط الراحلة ، شاكرا الله عز وجل على ما تفضّل به عليه من هذا الفتح العظيم ، وما منّ به عليه من هذه النعمة الجليلة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقـرأ سورة الفتح حتـى وصل الى الكعبة وبصحبته المسلمون ، فاستلم الركن بعصا كانت فى يده وكبَّر ، فكبر المسـلمون بتكبيره حتى ارتجت لتكبيرهم أرجـاء « مكة » ، فأشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن اسكتوا ، ثم أخذ يطوف بالبيت وهو على ناقته ، وفى كل مرة من طوافه يستلم الحجر الأسود بعصاه إلى أن استكمل الطواف ، وبعد أن فرغ من طوافه نزل من على ناقته ثم سار إلى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فصلى فيه ركعتين ، ثم اتجه إلى زمزم فشرب منها وتوضأ ، والمسـلمون مـن حوله كل منهم يودّ أن يأخذ ماء وضوئه ، وجعلـوا يصبونه علـى وجوههم ، والمشركون ينظرون ويتعجبون لما يرون ويقولن : « ما رأينا ملكا أبلغ من هذا ولا سمعنا به » .

ثم جلس الرسول صلى الله عليه وسلم فى جانب المسجـد ، وأبو بكر الصديق واقف وراءه متقلدا سيفه ، ودعا عثمان بن طلحـة ففتح له الكعبة ، فدخل وصلى بها ركعتين ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهـزم الأحزاب وحده » ، ثم ألقى خطبة طويلة بيّن فيها الكثير من مبادىء الإسلام ، ثم قال : « يا معشر قريش : إن الله أذهـب عنكم نخـوة الجاهلية وتعظّمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم قرأ قوله عز وجل : « يأيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنا أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليـم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنـون انى فاعل بكم ؟ » ، وقالوا : « خيرا ، اخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أقول ما قال أخى يوسـف : لا تزريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وقد كان من أثر هذه السياسة الرشيدة الحميدة أن كسـب الرسول صلى الله عليه وسلم قلوب أهل « مكـة » ، فأقبـل على الإسلام فتيان « قريش » وشيوخها ونساؤها ، ولم يحجم عنـه إلا البعض من الذين أكل الحقد قلوبهم وملأ البغض نفوسهم ، ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا فى الدين الجديد بعـد أن شرح الله عز وجـل صدورَهم للاسلام وصاروا من حماة الدين ومن خير المدافعين عنه .

هـدم الأصنام :

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » يوم الفتح وعلى الكعبة ٣٦٠ صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدت أقدامه بالرصاص ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقضيب من الحديد

واخذ يهوى به على كل صنم منها فيخرّ على وجهه والرسول الكريم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وأمر بكسر « هبل » وكان فى داخل الكعبة ، وأحرقت ومحيت كل صورة بالكعبة وأخرجت صورة سيدنا ابراهيم عليه السلام الذى كان مصوّرا وفى يدم الأزلام يستقسم بها ، فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مليا وقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام . ما شأن ابراهيم والازلام ؟ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، وبذلك طهّر البيت الحرام من الأصنام والصور .

ثم أخذ الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فكان ممن أسلم فى هذا اليوم معاوية بن أبى سفيان ، وأبو قحافة والد أبى بكر الصديق ، وقد سُرّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه سرورا عظيما بإسلامه .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة الشريفة ، فانطلق صوته يدوى : الله أكبر . الله أكبر ، اشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وخشعت الأبصار من كل جانب ، واتجهت الألوف إلى الكعبة حرم الله الآمن ، يستقبلونها فى صلاتهم خاشعين ، فكان يوما مجموعا له الناس ويوما مشهودا ،

نتائج فتح مكة :

الواقع أن فتح « مكة » لم يكن خاتمة النضال بين المسلمين و « قريش » وحدهما ، وقد امتد واحدا وعشرين عاما تقريبا ، ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة ، وثمانية بعدها ، بل كان خاتمة النضال فى جميع بلاد العرب ، ووسيلة لاتساع نطاق الإسلام وانتشاره فى داخل « الجزيرة العربية » وخارجها ، فلم يطل الوقت على القبائل القاطنة فى شرق « الحجاز » وكانت تلتزم سياسة الحياد فى الصراع الدائر بين « مكة » و « المدينة » ، حتى أقبلت وفودها تتسابق على « المدينة » تعلن إسلامها وانضمامها إلى الدولة الجديدة بمحض رغبتها واختيارها ، وبدون ضغط أو إرهاب .

وفتحت أبواب « مكة » لدعوة الإسلام ، فانهدم حصن الشرك العتيد ، وانهار ذلك السد المنيع الذى قام فى وجه الدعوة منذ قامت .

ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » كعبة الإسلام ، وقبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وستظل كذلك إن شاء الله إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .



مرض الربـــو

السؤال :

رجل مريض (بالربو) مرضا مزمنا ، ووصف له دواء يخفف عنه وطاتـــه يتعاطاه من وقت لآخر واذا توانى فى تعاطيه ، يحصل له ضرر جسمانى عظيم ، فهل يباح له الفطر ؟

الاجابة :

يجوز له الفطر شرعا فى هذه الحالة ، وعليه القضاء بعد زوال المرض ، والله أعلم .

القرحة المعوية

السؤال :

رجل اصيب بقرحة فى امعائه ، وقرر الاطباء ، انه لا يصح ان يدع الطعام فترة تزيد على خمس ساعات ، بحيث اذا تركه فيها تعرضت حياته للخطر ، فهل يجوز له شرعا ، أن يفطر رمضان ، وهل يجوز أن يؤخر قضاء ما فاته من صومه الى أن يتم برؤه ؟

الاجابة :

يباح شرعا لهذا المريض فطر رمضان وتأخير قضاء الصوم الواجب عليه الى أن يتم شفاؤه من مرضه ، وقد أخبر الأطباء الحاذقون أن فى جوع المصاب بهذه القرحة خطرا عظيما عليه ، وأنه لا يصح أن يدع معدته خاوية ، وأنه يلزم ألا يقل عدد اكلاته فى اليوم والليلة عن ست ، وقد رخص الله للمريض بأقل من هذا المرض فى الفطر : **(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)** .

والدين يسر لا عسر ، فاذا كمل برؤه قضى ما فاته ، قال تعالى : **(فمن كان منكم مريضا اوعلى سفر فعدة من أيام أخر)** .

الصيام فى السويد

السؤال :

نحن مسلمون منتدبون للعمل فى بلاد السويد ، وستضطرنا هذه الاعمال الاميرية لقضاء شهر رمضان الكريم فى هذه البلاد – وكما لا يخفى فان الشمس فى بعض الشهور تشرق فى الساعة الثانية صباحا وتغرب فى العاشرة مساء تقريبا ، أى فترة غياب الشمس حوالى اربع ساعات فقط ، ونحن لسنا من أهل البلد نفسها ، وحاولت الصيام فى ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وتعبت ، ولكن لم يفت من عزيمتى وعزيمة اخوانى ولكن رأينا أن نستشير فضيلتكم بما يتبع ، ونستفتى منكم الحكمة والمشورة الى سواء السبيل ، فنرجو الافادة عما يتبع بالصيام أو عدمه وهل فى الامكان صيام بعض الايام على قدر الامكان ؟؟ .

الاجابة :

انه يجب على المستفتى واخوانه الذين ورد ذكرهم فى السؤال الصوم ما لم يغلب على ظنهم حصول مرض بالصيام بتجربة او امارة اخرى فاذا غلب على ظنهم ذلك ، جاز لهم الفطر على أن يقضوا فى أيام اخر ، وليس بلازم فى قضاء ما افطروه أن يكون فى أيام متتابعة .

مريض بالسل

السؤال :

أنا مريض بالسل من نحو سنتين ، ومنعنى الطبيب من الصوم منذ مرضت، فما حكم السنتين ، مع العلم بانى غير قادر على الفدية ، وهل يجوز لى أن أصوم ثلاثة ايام من كل شهر لاقضى ما على ، وأنا لا أزال مريضا وتحت العلاج .

الاجابة :

أما بعد فتفيد اللجنة بأن المريض الذى يتضرر بالصوم بأن يزيد مرضه بالصوم أو يتأخر برؤه منه لو صام ، لا يخلو أمره من حالتين – الأولى : أن يكون شفاؤه مرجوا – وحكمه أن له أن يفطر فى رمضان ويقضى ما قدر عليه بعد الشفاء ، ولا يجب فى القضاء التتابع ، ولا فدية عليه ، فاذا مات قبل الشفاء فليس عليه شىء – والثانية : أن يكون المريض لا يرجى شفاؤه كالشيخ الفانى الذى فنيت قوته ويئس من رجوع قدرته على الصوم ، فلا يجب عليه الصوم ، وعليه الفدية لكل يوم نصف صاع من قمح أو قيمته ، فان لم يقدر على الفدية بأن كان معسرا لم تجب عليه ، واذا شفى المريض الذى كان لا يرجى شفاؤه وجب عليه أن يقضى ما قدر عليه من الأيام .

هذا وتضرر المريض بالصوم يعرف بغلبة الظن بناء على تجربة أو اخبار طبيب يوثق به ونحو ذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم .



بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

صورة الغلاف للعدد ١١٥

كانت صورة الغلاف للعدد ١١٥ لشهر رجب ١٣٩٤ هـ ــ يوليو ١٩٧٤ صورة لقسم من المسجد الابراهيمي في مدينة الخليل الصامدة بفلسطين . وهذا القسم خاص بالقبة المحمولة على قاعدة مربعة تحملها أربعة أعمدة رخامية حول فتحة الغار الشريف يطل عليها شيخ سدنة المسجد الابراهيمي .

والى جانب هذه القبة اخذت اللقطة قسما من السدة التى يجلس عليها المبلغ يوم الجمعة .

وقد ظهرت في الصورة أيضا صور بعض أهالي المدينة بزيهم الخاص المتميز .

وظهرت أيضا فتحة الباب المؤدى الى حجرة ما بين مقامى خليل الله ابراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة رضى الله عنها .

ويبدو أن اللقطة اخذت قبل عام ٦٧ لظهور السجاد يغطي أرض المسجد علما بأن أرض المسجد قد جردت من السجاد بعد تدنيس الكفرة الفجرة لبيت الله .

وقد كتبت المجلة على جانب الصورة من الداخل عبارة (أحد المساجد الفخمة فى دمشق) ..

عبد السلام عمران أبو شخيدم
السعودية

التوبة بلا بسملة لماذا .. ؟

لماذا لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى أول سورة التوبة كبقية سور القرآن الكريم .. ؟

وهل هناك سبب لوجودها فى الترتيب بعد الأنفال ؟

محمد عبد الخالق مسعود ــ القاهرة

من البين أن سورة التوبة كتبت دون بسملة فى مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، وهو المصحف الامام الذى جمع فى خلافته رضى الله عنه ، ووزعت منه نسخ على الامصار دون اعتراض من الصحابة ، أو انكار منهم ، فعد هذا الرضا من الصحابة اجماعا منهم ، وقبولا لوضع سورة التوبة بدون بسملة .

وفى رواية النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان رضى الله عنه ما حملكم أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى ، والى التوبة (براءة) وهى من المئين فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر (بسم اللـــه الرحمن الرحيم) ووضعتموهما فى السبع الطوال فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الشىء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول ((ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا)) ، وقبض رســول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين أنها منها ، فظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وقد وضح من سياق الحديث السابق هذا أن التوبة قد تركت بدون بسملة ، وقرنت بالأنفـــال ولم يفصل بينهما على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وأن وضع السورتين هكذا فى السبع الطوال من القرآن الكريم يؤكد انهما نزلتا منزلة واحدة واصبحتا كالســـورة الواحدة ، ولذلك كانتا تدعيان بالقرينتين .

وهناك قول آخر يقول انهما سورة واحدة ، تركت بينهما فرجة ، ويقول القرطبى (انه كان من شأن العرب فى الجاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا ارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت سورة التوبة بنقض العهد الذى كان بين النبى صلى الله عليه وسلم والمشركين بعث بها النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقرأها عليهم فى الموسم ولم يبسمل فى ذلك على ما جرت به عادتهم فى نقض العهد من ترك البسملة .

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : سألت على ابن ابى طالب لم لم يكتب فى التوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ، والتوبة نزلت بالسيف ، فليس فيها أمان .

وقال المبرد لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لانها رحمة ، وبراءة نـــزلت سخطة أو بسخطه .

ويقول القشيرى (أن سورة براءة لم تكتب فى أولها بسم الله الرحمن الرحيم لأن جبريل ما نزل بها فى هذه السورة ، وفى قول سيدنا عثمان قبض رســـول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها دليل على أن السورة كلها انتظمت بقوله وتبيينه ، وأن براءة ضمت الى الانفال من غير عهد من النبى صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعيان القرينتين فوجب أن تجمعا ، وتضم احداهما الى الأخرى ، للوصف الذى لزمهما من الاقتران ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى) .

كما أن هناك وجه شبه بين السورتين فالانفال من أول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة ، والمعول عليه فى القول بالنزول هو أول السورة، اذ المعلوم أن بعض السور ظل مفتوحا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تتنزل الآية يقول ضعوها فى مكان كذا من السورة كذا .

هذا ما قيل حول ترك (بسم الله الرحمن الرحيم) فى أول براءة ، وبين علاقتها بالأنفال .

بأقلام القراء

(شهر رمضان شهر التصفية الروحية)

ان المسلمين فى جميع بقاع الارض يحتفلون بقدوم شهر رمضان ، ويعلنون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم وحق لهم ان يحتفلوا ويبتهجوا لأنه شهر حافل بالخيرات معمور بالبركات فصومه ركن من اركان الاسلام الخمسة ودعامة من دعائم الدين التى يقوم عليها ، والله سبحانه لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا الا وله حكمة سامية وسر عجيب يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمت افكاره ورسخ ايمانه واستنار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن عن شهوتى البطن والفرج ، واذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا وعبدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التى يعنيها الله فى قوله : **(إن عبادى ليس لك عليهم سلطان)** .

اله هذا شأنه يغار على عبده هذه الغيرة فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ، (**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ومن هذه النعم فرضه الفرائض التى يعود نفعها على العباد خاصة ، فالصوم من طبعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التى هى علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كلدة « ان المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء » قال بعض الحكماء « الدواء الذى لا داء معه الا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه » ومن غير شك ان فى حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع وهى المحبة والوئام بين الناس بل وبين العبد وربه فان الانسان عندما يشعر بألم الجوع وشدة الظمأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجته لمولاه فيتواضع لبارئه الذى خلقه وسواه ويطرح رداء الكبر والعظمة فانهما من صفات الله جل جلاله حيث يقول **« الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ابالى »** (١) .

واذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه ليعطف على الناس ويتودد اليهم واحس من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وقتئذ اخوانا متحابين وكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى ومسلم عن النعمان ابن بشير .

---

(١) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ الكبرياء ردائى الخ وبقية الحديث : القيته فى النار .

قيل ليوسف الصديق عليه السلام « لم تجوع وانت على خزائن الارض حفيظ ؟ قال اخاف أن اشبع فأنسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه الى البر والاحسان ، وشهر رمضان هو الموسم لمن اراد الربح العظيم .

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجود الناس بالخير وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان اجود بالخير من الريح المرسلة . رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .

والصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر واحتماله المكاره ، والصبر ملاك الفضائل .

فهو السلاح الذى يكافح به الانسان ويجاهد حتى يظفر بمناه فى دنياه واخراه ، وقد قيل « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود .

ووصى به القرآن الكريم فى التنزيل أكثر من سبعين مرة وحسبك من ذلك قوله فى شأنه **(انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)** (الزمر) .

ومن حق الصائم ان يكف جوارحه عن جميع الآثام حتى يكون صومه مقبولا ، فيغض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والخصومة والفحش والجفاء والسمع عن الاصغاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوى « ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الامارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله إليه نظر قبول ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه (٢) هذا مجاز عن عدم القبول فنفى السبب وأراد المسبب ا هـ. لأنه بترك الطعام والشراب قد أتى بجسم الصوم وبفعله المحرم قد أذهب روحه . والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها أنظر الى قوله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)** فالغاية من فريضة الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الاكل والشرب . وقال عليه الصلاة والسلام « الصيام جنة » أى وقاية للجسم والروح من الآثام والشرور .

وقد اختار الله هذا الشهر المبارك للصوم من ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، لانه عند الله طيب مبارك فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شهر رمضان ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعبد فى غار حراء فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام فى طول البلاد وعرضها ، وفيه نزل القرآن الكريم الذى طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق **(شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** (البقرة ــ ١٨٥).

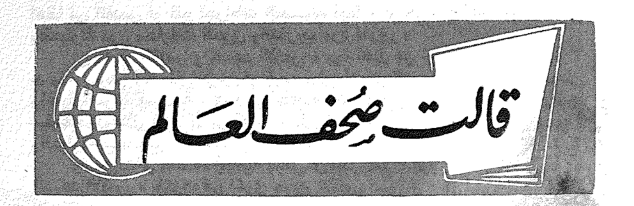
وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، قال الله تعالى **(ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر)** .

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه

---

(١) اخرج مسلم والنسائى عن طريق سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة .

(٢) رواه البخارى واحمد والبزار عن أبى هريرة .



ذكرى الحريق

في حومة الصراع الدائر بيننا وبين اليهود تشكل القدس والمسجد الأقصى حجر الزاوية في هذا الصراع ، فليست أرض فلسطين شيئا لولا ارتباطها العقائدى عند المسلمين والنصارى واليهود على السواء ، لأنها أرض الاسراء والمعراج وبلد الانبياء والمرسلين ، ومهبط رسالة عيسى ، وموطن الاشعاع الحضارى الاسلامى عبر القرون ، من أجله تخضبت الأرض بنجيع الدم الزكى وشهدت المعارك الكبيرة والحروب العنيفة وظلت مسرحا للأحداث الكبرى ، والصراعات المستمرة ، دهرا بعد دهر .

وواضح مخطط اليهود الرهيب فى تهويد القدس وتحويل المسجد الأقصى الى هيكل ، ليعيد ما زعم من هيكل سليمان وأوضح منه ، أن اسرائيل حكومة وشعبا ، فرقا وأحزابا ، لاتدخر وسعا فى استعمال اية وسيلة مشروعة أو غير مشروعة لإزالة المسجد الأقصى وتهويد البقعة المقدسة ، وإزالة اى معلم حضارى إسلامى فى القدس ، فمن عبث القول أن نفيض فى بيان المخططات الرهيبة للتهويد والاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات جميعا ، وقد أعلنتها اسرائيل وعلمها القاصى والدانى ، وإنما الذى نقوله فى ذكرى حرق الأقصى كلمة مرة مرارة الذكرى ، واضحة وضوح النار التى التهمت جدرانه .

لقد عقد ملوك المسلمين ورؤساؤهم عقب حرق الأقصى مؤتمر القمة فى الرباط ، وتبع ذلك مؤتمرات على مستوى القمة أو مستوى وزراء الخارجية ، وصدرت قرارات ، وتوصيات ، وتمت لقاءات .

ولم يكن ثمة أى تحرك فعلى لمنع التهويد باستثناء الاحتجاجات الصارخة لدى المحافل الدولية على انتهاكات اسرائيل واعتداءاتها على القدس والمقدسات .

لقد حرق المسجد الأقصى ، وتمت الحفريات الارضية بجوار جداره ، وتصدعت ابنية إسلامية تصور الطابع الحضارى للقدس ، وجرت محاولات متعددة لحرق المسجد ، وبذلت جهود يهودية ضخمة ، وقدمت اغراءات مخيفة لزعزعة صمود اهل القدس والقائمين على شئون المسجد الأقصى من العلماء والموظفين ، ولم تبذل اية دولة عربية أو اسلامية أى جهد مالى أو معنوى لتثبيت

اهلنا في القدس او لمنع اجراءات التهــويد فيها . او حراسة المســجد الأقصى والحيلولة دون محاولات الحرق والتخريب مرة أخرى .

إن تحرير القدس والمسجد الأقصى ، وما احتل من أرض فلسطين ، أمر لا بد منه ، وهو آت طال الزمن او قرب والى ان يتم التحرير السياسي للقــدس وأعادتها عربية إسلامية ، لا بد من مقاومة التهويد بمثل الاجراءات التى تمارسها سلطات الاحتلال ، ولا بد من الحفاظ على المقدسات ولا سيما المسجد الأقصى ، والحيلولة بينها وبين التخريب والتهويد .

وثمة وسائل متعددة أيجابية ينبغى ان تبذل لمنع التهويد والتدويل ، ولحماية المسجد الأقصى ، نذكرها في ذكرى حريق الأقصى عسى أن يفكر اخواننا في البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة ، فى العمل الايجابي الجاد الى جانب ما يبذل من جهد سياسي وعسكري ليتم التحرير من ربقة الاحتلال الاسرائيلى البغيض .

إن المسجد الأقصى بحاجــة الى تعمير وترميم ، وقد أعدت مشروعــات ضخمة ، تحتاج الى مد يد العون لهذا الاعمار ، وهناك كثير من أراضى القدس يتعرض أصحابها للاغراءات والضغوط لبيعها ويمكن أن تشترى وتسجل وقفــا يحول دون تسربها الى اليهود او الأيدى المشبوهة ، ويحتاج ذلك الى أن يتقدم أخواننا من القادرين فى البلاد الاسلامية والعربية الى إنقاذها .

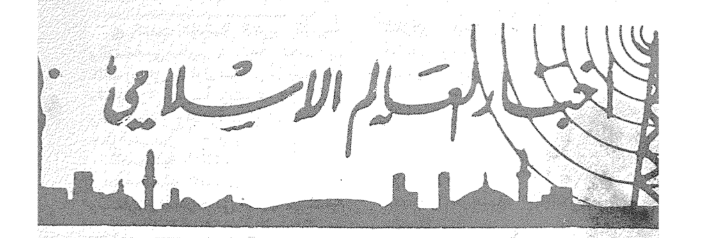
وإن ذكرى حرق المسجد الأقصى يجب أن لا تمر بدون هذا العمل الايجابى لمن اراد ان يعمل مرتفعــا فوق الخلافات والأهــواء متساميا على النعــرات والحزازات ، والمسجد الأقصى والقدس درة العالم الاسلامى ، ومهوى أفئدتهم ، ومطمح أنظارهم ، وبقاؤه فى أيدى الاحتلال ، ورؤيته سلبيا يعتدى عليه ويعمل لإزالته ولا نقوم باى عمل إيجابى ، يعنى الضياع ، والإثم ولعنة الله ، والأجيال على من فرط وضيع .

عن مجلة (اللواء) الأردنيـــة

ترجمة قاديانية محرفة لمعانى القرآن الكريم

حذرت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة المنظمات الاسلامية فى العالم من قيام الطائفــة القاديانية باصدار ترجمات لمعانى القرآن الكريم بهدف الكيد للاسلام والتضليل لعامة المسلمين مؤكدة أن هذا العمل فيه تحــريف للكلم عن مواضعه وتاويل الآيات وتاويلات باطلة ومن هذه الترجمات : الترجمــة التى وضعها الضال محمد على ونشرها واتخــذت منها هذه الطائفــة سبيلا الى التضليل ، وحيث أن هذه الترجمة التى زعموا أنها ترجمة لمعــانى القرآن الكريم وما تلاها من الترجمات التى تصدر عنهم كلها باطلة يكــذبها التفسير الصحيح للقرآن وآياته المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين وأئمة المسلمين فى مختلف العصور فضلا عما فيها من التاويلات الفاسدة التى تاباها العقول السليمة ويأباها نظام القرآن الكريم البليغ ، والتى قصدوا بهــا التاييــد لضلالتهم المذهبية ، لذلك قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى بالاجماع بطلان هذ الترجمة للقرآن وتحذير المسلمين فى سائر بلاد الاســلام وغيرها من هذه الترجمة وأمثالها .

مجلة رابطة العالم الاسلامى ــ مكة المكرمة



إعداد الاستاذ : فهمى الامام

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن بحفظ الله ورعايته بعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام فى ربوع لبنان الشقيق .

● يقوم سمو نائب الامير المعظم ولى العهد الشيخ جابر الاحمد الصباح بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وسيبحث فى هذه الزيارة المسائل السياسية التى تهم العالم العربى والمصالح التى تهم البلدين .

● زار سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية جمهورية الصومال ، وقد تم أثناء لقائه مع المسئولين بحث العلاقات بين البلدين ، كما زار سيادته المناطق الصناعية والزراعية .

● ترأس سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة الدورة الحالية لمجلس جامعة الدول العربية .

● تستضيف وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء والوعاظ والقراء خلال شهر رمضان المبارك لالقاء محاضرات وعقد ندوات فى المساجد والجمعيات الاسلامية ومراكز العلم بالاضافة الى العلماء والوعاظ العاملين بالوزارة .

● يزور الكويت خلال شهر رمضان المبارك الدكتور خورشيد أحمد لالقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام باللغة الانجليزية .

● قررت الكويت رفع قيمة تبرعها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٢٢٠ الف دولار الى ٤٠٠ الف دولار .

القاهرة : يقوم مجمع البحوث الاسلامية بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين الثامن الذى تقرر عقده فى ١٥ نوفمبر القادم .

● أصدرت وزارة الاوقاف تعليماتها الى القائمين على شئون المساجد بمنع السياح الذين يرتدون الملابس القصيرة والملابس غير المحتشمة من دخول المساجد .

● أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسابقة لاحسن كتاب عربي يتناول موضوعا يتصل بالحضارة العربية ويكشف عن قيمها وأصالتها ، وقد رصدت للمسابقة جائزة قيمتها ٥٠٠ جنيه مصري .

السعودية : ناشد الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى وزراء التربية والتعليم والمعارف فى الدول الاسلامية ضرورة العناية بتدريس القرآن الكريم فى بلادهم .

● تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين ريال لفرش المسجد الحرام بالسجاد الفاخر ، وذلك بعد أن انتهى العمل فى عمارة المسجد .

● سيتم انشاء أكبر جامع فى افريقيا فى تشاد على حساب المملكة وتبلغ التكاليف مليون فرنك فرنسي ، ومساحة الجامع تقدر بسبعة آلاف وخمسمائة متر مربع .

ليبيا : ذكرت وكالة الانباء العربية الليبية أن ليبيا صادقت على لوائح المصرف الاسلامى للتنمية ، وساهمت فى رأس ماله بمبلغ ٤٥ مليون دينار ليبى .

المغرب : تقرر عقد مؤتمر القمة العربى القادم فى ٢٦ أكتوبر بمدينة الرباط .

عمان : اقيم فى قاعة الكلية العلمية الاسلامية بعمان حفل تأبين لسماحة المرحوم الشيخ أمين الحسينى وقد حضر الحفل كبار المسئولين وفى مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد من الاعيان .

السودان : اكد الرئيس جعفر النميرى حرص السودان على التضامن العربى والاسلامى وتحقيق الطمأنينة والرخاء والعمل الجاد على استعادة الحقوق السليبة ، وكان ذلك أثناء تسلمه أوراق اعتماد سفير المملكة العربية السعودية .

العراق : وجه رئيس ديوان الأوقاف الدعوة لعدد من علماء المسلمين لحضور مؤتمر علماء الدين الاسلامى الذى سيعقد فى بغداد عقب عيد الفطر القادم . وصرح سيادته بانه تم الاتفاق مع جامعة الأزهر على ايفاد عدد من الاساتذة للتدريس فى كلية الإمام الاعظم ببغداد ، وكذلك ايفاد عدد من الوعاظ الأزهريين للعمل بالعراق .

أخبار متفرقة

الهند : صدر العدد الجديد من مجلة صوت الاسلام الصادرة باللغة الانجليزية من كيرالا بالهند .

بريطانيا : تعكف الجالية المسلمة فى بريطانيا على بحث مشكلة التعليم المختلط الذى قررت الحكومة تطبيقه فى مدارس البنات الثانوية ، ومن المنتظر أن تخرج بقرارات فى هذا الشأن .

هولندا : سيتم بناء أول مسجد ومركز اسلامى فى مدينة امستردام خلال شهر نوفمبر القادم ، وسيضم المركز قاعة للمحاضرات وصالة للعرض ومكتبة ، وسيؤدى خدماته للمسلمين المقيمين بهولندا .

تركيا : طالب عدد من الصحف التركية باعادة الطابع الاسلامى لمسجد اياصوفيا واقامة الصلاة فيه، وانهاء وضعه الحالى كمتحف .

النيجر : أعلن رئيس دولة النيجر انه سيجرى قريبا انشاء جمعية اسلامية فى النيجر ، مهمتها اتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة جامعة اسلامية ، وتوزيع الأموال المخصصة لبناء المساجد وتنظيم الحج ، والعمل على تطبيق تعاليم الدين الاسلامى ونشر اللغة العربية . وتمثيل النيجر فى الاحتفالات والمناسبات الدينية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

ايام الاسبوع	رمضان ١٣٩٤	سبتمبر ١٩٧٤	المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)						المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٧	٥ ٤	٣٣ ٥	٤٣ ١١	١٣ ٣	٥٢ ٥	١٠ ٧	١٣ ١٠	٤١ ١١	٥١ ٥	٢١ ٩	١٨ ١
الاربعاء	٢	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الخميس	٣	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الجمعة	٤	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
السبت	٥	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الاحد	٦	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الاثنين	٧	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الثلاثاء	٨	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاربعاء	٩	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الخميس	١٠	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٥٩ ٦	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الجمعة	١١	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٠٠ ٦	٢٦	١٨
السبت	١٢	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١ ١٢	١	٢٦	١٨
الاحد	١٣	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
الاثنين	١٤	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الثلاثاء	١٥	اكتو:	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الاربعاء	١٦	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الخميس	١٧	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الجمعة	١٨	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
السبت	١٩	٥	١٥	٤٣	٣٧	٥٩ ٢	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الاحد	٢٠	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
الاثنين	٢١	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨
الثلاثاء	٢٢	٨	١٧	٤٥	٣٦	٥٧	٢٦	٤٤	٥١	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٢٣	٩	١٧	٤٥	٣٥	٥٦	٢٥	٤٣	٥٢	٢٠	١٠	٣١	١٨
الخميس	٢٤	١٠	١٨	٤٦	٣٥	٥٥	٢٤	٤٢	٥٤	٢٢	١١	٣١	١٨
الجمعة	٢٥	١١	١٨	٤٦	٣٥	٥٤	٢٣	٤١	٥٥	٢٣	١٢	٣١	١٨
السبت	٢٦	١٢	١٩	٤٧	٣٤	٥٤	٢٢	٤٠	٥٧	٢٥	١٣	٣٢	١٨
الاحد	٢٧	١٣	١٩	٤٧	٣٤	٥٣	٢١	٣٩	٥٨	٢٦	١٣	٣٢	١٨
الاثنين	٢٨	١٤	٢٠	٤٨	٣٤	٥٢	٢٠	٣٨	٠٠ ١١	٢٨	١٤	٣٢	١٨
الثلاثاء	٢٩	١٥	٢٠	٤٨	٣٣	٥١	١٨	٣٦	٢	٣٠	١٥	٣٣	١٨

أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها

اسمهـــا : صفية بنت حيى بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ابن ابى حبيب من بنى النضير . وهو من سبط لاوى بن يعقوب .. من ذرية هرون بن عمران أخي موسى عليهما السلام .

أمهـــا : برة بنت سموال .

اسلامهـا : لما فتح المسلمون خيبر .. واستأصلوا شوكة اليهود .. كان فى السبايا صفية وابنة عم لها .. وجاء [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه .. فكان ذلك اعلانا بأنه اصطفاها لنفسه .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ صفية بنت حيى قال لها : هل لك فى ؟ قالت : يا رسول الله : كنت أتمنى ذلك فى الشرك .. فكيف إذا أمكننى الله منه فى الاسلام ؟ .. فأعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوجها .

زواجهـــا : تزوجت مرتين قبل الرسول : زوجها الأول : سلام بن مشكم ، فارس قومها وشاعرهم ، ثم تزوجها بعده : كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق .. وقد قتل فى فتح خيبر .. وعادت صفية مع الرسول صلى الله عليه وسلم .. فلما كانا بالصهباء [illegible] وليمة العرس .. وأكل الناس من طيبات خيبر .. ثم دخل الرسول على صفية .

روايتها للحديث : كانت رضى الله عنها راوية للحديث وروى عنها : ابن أخيها ومولاها كنانة ، ومولاها الآخر يزيد بن متعب ، وزين العابدين على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان .

وفاتهـــا : رحلت الى جوار ربها فى خلافة معاوية .. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين .. رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســا .

المغـــرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

ــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
خبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

ا .. : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت